

الأعمال الكاملة  
للكتور زكي محمد حسن

في الفنون الإسلامية

دار الكتب العلمية  
بيروت







الأعمال الكاملة  
للدكتور  
زكي محمد حسن  
٧

# في الفنون الأدبية

للدكتور  
زكي محمد حسن

مدير دار الآثار العربية عضو المجمع المصري للثقافة العلمية  
دكتور في الآداب من جامعة باريس ، وحائز دبلوم آثار الأمم الأسيوية والاسلامية من مدرسة  
اللوفر بباريس ، ودبلوم مدرسة اللغات الشرقية بفرنسا ، وليسانس الآداب من الجامعة المصرية ،  
ودبلوم مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، والمساعد العلى بمتحف برلين سابقا



دارالرائد العربي

بيروت • لبنان

ص . ب : ٦٥٨٥



13 6557

جميع الحقوق محفوظة لـ

**دارالرائد العربي**

١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م





## تصدير

إنه لمن دواعي الاغتباط أن نرى في مصر في الوقت الحاضر نزعة إلى النهوض بالفنون الجميلة في شتى أنواعها، تلك النزعة التي نرى أثرها في اهتمام الحكومة والجماعات والافراد اهتماما يبدو في كثير من المناسبات .

ومن رأيي أن هذه النزعة هي وليدة الاحساس بما كان لهذا البلد من فضل على العالم أجمع حين كان هو وحده مبعث الحضارة و ينبوع العلوم والفنون . ولئن كانت الفنون الشرقية قد أسدل عليها ستار من النسيان ردحا من الزمن إلا أننا نراها اليوم تعود سيرتها الأولى من النمو والانتعاش وتصبح من جديد مصدر الوحي في الشرق والغرب ومجال البحث والتنقيب والتفكير .

ولقد نما الفنان الشرقي القديم نموا روحانيا بعيدا عن التقيد بحقيقة الأمر الواقع فأبى مطاوعة قوانين المنظور الآلية ليمهد السبيل للتعبير الحر عن العاطفة الجارحة والشعور المتدفق فأخرج رسوما هي تكوينات رشيقة متناسقة الخطوط منسجمة الألوان والأشكال صادقة التعبير عن مشاعره وإحساساته الخاصة . وانه لنصر لهذه الوجهة الشرقية في الفن أن يأخذ الآن بها فنانون المدرسة الحديثة في العالم فيستنيرون بها في أبحاثهم كما ينادى بهذا الاتجاه الجمالي كبار نقاد الفنون في الوقت الحاضر .

وانه لمن دواعي الاغتباط أيضاً أن يكون من بين المصريين من عكف على دراسة الفنون وتفهم أسرارها ودقائقها . والدكتور زكي محمد حسن الذي تفضل علينا بهذا البحث الممتع هو واحد من هؤلاء الباحثين ؛ فدراساته الطويلة



في إنجلترا وفرنسا وألمانيا وأبحاثه الشخصية في مصر تجعله خير من يتكلم في هذا الموضوع .

ولقد أدركت وأنا أستمع إليه ان من واجبي أن أعمل على أن يعم نفع هذا البحث النفيس ، علما مني بأن هناك كثيرين لم تمكنهم ظروفهم من سماع المحاضرة . وان ما أظهره الدكتور زكي حسن من حسن الاستعداد لتدوين محاضراته تمهيدا لطبعها ونشرها لدليل جديد على حبه للفن ورغبته في العناية له .

وان الاتحاد لينقدم إلى الدكتور زكي حسن أوفر الحمد وأطيب الثناء

رئيس الاتحاد

صحر شفيق زاهر



## كلمة المؤلف

شرفني اتحاد أساتذة الرسم بدعوتي لالقاء حديث عن الفنون الاسلامية على حضرات أعضائه ومن يلي دعوتهم من المهتمين بالفنون والآثار؛ ثم تفضل الأستاذ الجليل زاهر بك رئيس الاتحاد فعرض عليّ أن يقوم الاتحاد بطبع هذا الحديث . وإني أحرص - في الوقت الذي أجيب فيه هذا الطلب - على أن أبين أن الوقت الذي خصص لهذا الحديث وثقافة الفنانين الذين أعد لهم ، كل ذلك جعلني أنحو فيه نحوًا خاصًا؛ فاخترت بعض مسائل الفنون الاسلامية وميزاتها، وتكلمت عنها بشيء من الافاضة ، بينما لم أعرض لكثير من المسائل الأخرى . فأستسمح القراء عذرا . وأرجو أن تكون قراءة هذا الحديث دافعا لهم على قراءة الكتب المطولة في الفنون والآثار الاسلامية ، وعلى زيارة دار الآثار العربية ، ودراسة ما فيها من المعروضات النفيسة .

ولا يسعني في ختام هذه الكلمة إلا أن أتقدم بوافر الشكر إلى صاحب العزة أحمد شفيق زاهر بك رئيس الاتحاد وإلى حضرات الأعضاء الأفاضل لحسن ثقهم بي وللجهود التي يبذلونها في نشر الثقافة الفنية .

زكي حسن

دار الآثار العربية في ١٤ / ٤ / ١٩٣٨







## الحضارة الإسلامية

ظل الناس حيناً من الدهر يطلقون اسم « الحضارة العربية » على المدنية التي ازدهرت في ربوع الأمم الإسلامية ؛ ولكن كثيرين من العلماء يبالغون بعض الشيء ، فيرون أن هذه الحضارة لا تصح نسبتها إلى العرب ؛ لأنها لم تقم على اكتافهم . فهي تمثل عصبه الأمم الإسلامية كلها ، وقد كان بين هذه الأمم عرب وفرنس وترك وبربر وهنود وصقالبة ، فجمعهم العرب وطبعوهم بطابع الدين الإسلامي الجديد ، وفرضوا عليهم حروفهم الأبجدية ، بل نجحوا في أن يفرضوا على أغلبهم اللغة العربية نفسها ، حتى قامت هذه اللغة بين الأمم الإسلامية مقام اللغة اللاتينية بين الأمم المسيحية في العصور الوسطى (١) .

ويقول هؤلاء العلماء تأييداً لرأيهم هذا إن المشاهد في تاريخ الأمم الإسلامية أن أكثر رجال العلم والأدب والفن كانوا من الفرس (٢) أو السوريين أو المصريين الذين اعتنقوا الإسلام أو ظلوا على أديانهم القديمة ؛ ولكنهم ازدهروا تحت لواء الإسلام ، واشتغلوا للمسلمين الفاتحين . فهذه المدنية اذن مدنية إسلامية ؛ ولكنها ليست عربية خالصة . وهي على كل حال الحلقة الأخيرة في تطور مدنية الشرق الأدنى التي نمت وترعرعت بين الفرس والبابليين والاشوريين والفينيقيين والآراميين والمصريين واليهود .

(١) كانت اللغة العربية أوسع اللغات انتشاراً بين اللغات الثلاث التي استخدمت في الكتابات على الأبنية والتحف الأثرية الإسلامية ، وهي العربية والفارسية والتركية .  
(٢) كما كتب ابن خلدون أكبر من ألف من المسلمين في فلسفة التاريخ .



وقد يكون في الأخذ بهذه النظرية ظلم للعرب واستهانة بتراثهم في بعض ميادين الحضارة ؛ فقد كان للعرب شعر وأدب ونظم اجتماعية ؛ ولكننا لا نستطيع الشك في أنها نظرية صحيحة في ناحية خطيرة الشأن من نواحي المدنية : وهي ناحية الفنون .

فالمعروف أن العرب لم يكن لديهم قبل الفتوحات الإسلامية عمارة وفنون صناعية يمكن مقارنتها في الرقي والتقدم بفنون الأمم المتحضرة التي كانت تحيط ببلادهم . وليس هذا بضائرهم أبدا ؛ فالأمم كالأفراد لا تستطيع أن تحيط بكل شيء وحسب العرب فخراً ما قاموا به من فتوحات عظيمة وما خلفوه من تراث جليل .

### الفن الإسلامي

فلما فتح العرب العراق وإيران والشام ومصر وشمال أفريقيا والأندلس نما في أنحاء الامبراطورية فن ليس من الانصاف أن نسميه فنا عربيا Arab Art ؛ لأن نصيب العرب فيه كان أقل من نصيب غيرهم من الأمم الإسلامية . وقد كان الأوربيون يسمونه أحيانا Saracenic Art من كلمة Saracens التي لا نجد لها مرادفا في اللغة العربية . وهي لفظ من أصل يوناني «Saraceni» كان الأغريق يطلقونه قديما على سكان القبائل البدوية التي كانت تقطن غربي نهر الفرات ، ويظن أنه مشتق من كلمتي « شرق » و « شريقين » ؛ ثم اتسع مدلول هذا اللفظ حتى شمل سكان شبه الجزيرة العربية عامة . وزاد استعماله في عصر الحروب الصليبية فغلب على سكان الشرق الأدنى من المسلمين الذين كانوا يقاتلون الصليبيين . وإذا أردنا ترجمة هذا اللفظ إلى العربية لما وجدنا لتأدية معناه إلا « العرب » أو « الشريقين » .



وهكذا نرى أن لفظ Saracenic art لا يصح أن يشمل في العرف الأوروبي إلا الفنون التي ازدهرت في بلاد العرب والعراق والشام ، وربما في مصر أيضا ، ولكننا لا نستطيع أن نطلقه في ثقة واطمئنان على الفنون الإسلامية في الأندلس وإيران وتركيا والهند .

وكذلك كان الأوربيون يطلقون على الفن الإسلامي أحيانا اسم Moorish art والمعروف أن كلمة Moors بالإنجليزية جاءت من Moro بالاسبانية ، وهذه ترجع إلى كلمة Mauri التي كان الرومان يطلقونها على سكان شمال غربي أفريقيا وقد كانوا يسمونها Mauretania . وأصبح لفظ Moors يطلق على المسلمين في شمالي أفريقيا وفي الأندلس . فالفن المغربي أو Moorish art هو الفن الإسلامي في أسبانيا وفي تونس والجزائر ومراكش دون غيرها من الأقطار الإسلامية . وصفوة القول أن « الفن العربي Arab art » أو « الفن الشرقي Saracenic art » أو « الفن المغربي Moorish art » كلها أسماء ليست جامعة . ولا شك في أن أفضل اسم للفنون التي ازدهرت في العالم الإسلامي هو « الفنون الإسلامية » ، لأن الإسلام كان حلقة الاتصال بينها ، ولأنه جمع شتاتها وجعلها وحدة متميزة على الرغم من تباين أصولها .

## الطُرُزُ أو الأساليب أو المدارس المختلفة في الفنون الإسلامية

ومهما يكن من شيء فإن الصناعات والمهن الحرة ظلت في أيدي أهل البلاد التي فتحها العرب ، وتطورت الأساليب الفنية في كل إقليم من الأقاليم المفتوحة تطورا خضعت فيه لكثير من القواعد التي فرضها عليها العرب الفاتحون . ونشأ



من امتزاج العرب بأهل البلاد التي أخضعوها لسلطانهم فنون متشابهة في جملتها متباينة في جزئياتها .

ومن ثم فإننا نستطيع بوجه عام أن نقول إن الفن الاسلامي في القرون الثلاثة الاولى بعد الهجرة كان يسوده طراز أموي أولا ، ثم طراز عباسي بعد سقوط بني أمية سنة ٧٥٠ م . ولما ضعفت الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) وخلفتها دويلات وإمارات مستقلة في الاقاليم الاسلامية المختلفة ، قامت على أنقاض الطراز العباسي أساليب فنية محلية يمكن تمييز كل منها ، ولا سيما في ميدان العمارة . لأن منتجات الفنون الفرعية ( أو الصناعية أو التطبيقية Minor arts ) كان من السهل نقلها من اقليم إلى آخر والتأثر بالأساليب الفنية فيها .

اذن فقد كان الفن الاسلامي بعد سقوط العباسيين يشتمل على طراز اسباني مغربي قام في شمالي افريقية والاندلس ، وعلى طراز مصري سوري قام في وادي النيل وفي سورية<sup>(١)</sup> . كما كان يشتمل على طراز فارسي في ايران ، وطراز عثماني في الامبراطورية العثمانية وطراز هندي في الهند الاسلامية . وكان أيضا وثيق الصلة بفن صقلي نورمندي في جزيرة صقلية وبفنون المدجنين والمستعربين ، وهي الفنون التي قامت في اسبانيا بعد زوال سلطان المسلمين عنها . ويجدر بنا الآن أن نشير في ايجاز إلى كل طراز من هذه الطرز المختلفة في الفنون الاسلامية .

#### ١ — الطراز الأموي :

كان استيلاء الامويين على الخلافة وانتقال عاصمة الدولة الاسلامية من

(١) كانت الشام جزءا من مصر في كل العصور التاريخية التي كانت فيها حكومة مصر مستقلة وقوية كمصر تحتتمس الثالث ورمسيس الثاني والطولونيين والفاطميين والايوبيين والمماليك كما أن مصر والشام كانتا في أغلب عصور الضعف والتبعية خاضعتين لسيادة دولة واحدة .



المدينة إلى دمشق خاتمة لعصر الخلفاء الراشدين الذي غلب فيه على المسلمين تجنب البذخ والترف . وبدأ الامويون يفكرون في تشييد مساجد توازي في العظمة كنائس المسيحيين ، ويتخذون تحفا فنية تتفق وعظمة ملكهم الجديد . وكان جل اعتماد الامويين في بداية الأمر على عمال وفنانين من البيزنطيين والسوريين المسيحيين ، تتلمذ عليهم العرب ونشأ على يد الجميع الطراز الأموي في الفن الاسلامي ، ونقل القواد والحكام واتباعهم أصول هذا الطراز إلى سائر الاقاليم الاسلامية . وثبتت هذه الأصول في الأندلس حتى أن سقوط الدولة الأموية في الشرق لم يكن له صدها في الأساليب الفنية الاسلامية باسبانيا ولا سيما أن هذا الاقليم الاسلامي خرج عن الدولة العباسية ونشأت فيه دولة أموية غربية كان لها طراز أموي غربي احتفظ بجلب الأساليب الفنية في الطراز الأموي الشرقي<sup>(١)</sup> .  
وأهم الابنية التي تنسب إلى الامويين قبة الصخرة التي تقع في وسط الحرم الشريف ببيت المقدس ، ثم الجامع الأموي بدمشق وبعض قصور بناها الخلفاء في بادية الشام كقصير عمرا وقصر المشتى وقصر الطوبة .

أما قبة الصخرة فيطلق عليها في بعض الأحيان اسم جامع عمر؛ لأن عمر بن الخطاب كان قد أقام في موضعها مصلى من الخشب ؛ ثم شيده عبد الملك بن مروان على انقاضه البناء الحالي سنة ٦٩٠ . وهو على شكل مثلث فوقه قبة عالية ، تغطيها فسيفساء عليها زخارف باللونين الأخضر والذهبي . والقبة محمولة على دائرة من أعمدة ضخمة من الرخام الأخضر ، وذات تيجان مذهبة . وقد عني عبد الملك بقبة الصخرة عناية زائدة لأنه أراد أن يحول الحج من مكة إليها حين كانت الكعبة في يد

(١) الواقع أن خصائص الطراز الأموي ليست واضحة كل الوضوح . ولا غرو فان غلبة العناصر البيزنطية والارانية فيه هي التي تميزه ، مع بعض الأشياء الأخرى ، لدى الأخصائيين من رجال الفنون والآثار الاسلامية .



منافسه عبد الله بن الزبير . وعلماء الآثار متفقون في أن عمارة هذا البناء مأخوذة من عمارة الكنائس المسيحية البيزنطية . بيد أننا نلاحظ أن هذا الشكل المثلث لم يتكرر في تصميم الجوامع الإسلامية ؛ لأنه كان ملأماً كل الملاءمة ليحيط بالصخرة المقدسة في الحرم الشريف ؛ ولكن تصميم الكنائس المعروفة بالباسيليكا كان أوفق للعبادة الإسلامية . وقد اتخذها المسلمون في أكثر الأحيان أساساً لتصميمات مساجدهم .

أما الجامع الأموي بدمشق فقد أقامه الخليفة الوليد بن عبد الملك على انقاض كنيسة القديس يوحنا . وفي وسطه الآن صحن كبير تحيط به أروقة وعقود وايوانات من الحجر تحملها في الشمال دعائم pillars وفي الشرق والغرب دعائم وأعمدة وأكبر هذه الأروقة رواق القبلة ويشمل ثلاث بلاطات bays تقوم في وسطها قبة .

ولا شك في أننا نشاهد التأثير الذي كان لتصميم الجامع الأموي على تصميم الجوامع التي شيدت في الأمصار الإسلامية المختلفة في ذلك العصر كجامع القيروان وجامع الزيتونة بتونس وجامع قرطبة بإسبانيا .

والقصور التي شيدها الخلفاء في بادية الشام أكثرها أبنية مربعة الشكل وسطها حيشان تحيط بها غرف للسكنى . وكان يأوى إليها الأمراء للصيد ، أوحين تنتشر الأمراض في المدن ، وكان الجزء المهم في بعضها حماماً كما في قصر عمرا . وكان البعض الآخر يشبه الحصون الصغيرة . وعلى كل فان في تصميم هذه القصور وفي زخارفها عناصر عراقية وفارسية ، إلى جانب العناصر الشرقية المسيحية التي امتاز بها هذا العصر وتلك الأقاليم .



وقد اشتهر قصير عمرا بما فيه من نقوش آدمية على الأسقف والجدران بألوان زاهية وأساليب فنية بيزنطية متأثرة في بعض نواحيها بالتقاليد الإيرانية .

### ب - الطراز العباسي :

لما استولت الدولة العباسية على مقاليد الحكم سنة ٧٥٠ م أصبحت السيادة في العالم الاسلامي للعراق دون الشام . وأدى ذلك الى تغيير كبير في أساليب العمارة والزخرفة ، فانتقل البناء الى استعمال الآجر بدلا من الحجر ، وإلى بناء القوائم pillars بدلا من اتخاذ الأعمدة columns ، وغلبت الأساليب الفنية الفارسية على الفنون الاسلامية ، كما غلب الطابع الفارسي على الأدب والحياة الاجتماعية . وفي سنة ٧٦٢ شيد الخليفة المنصور مدينة بغداد على نهر دجلة محاولا بناءها على شكل دائرة في وسطها القصر والجامع ويحيط بها سور كبير فيه أبراج ويوازيه سور آخر .

وفي سنة ٨٣٦ شيد الخليفة المعتصم مدينة سامرا أو سرمن رأى على الضفة اليمنى لنهر دجلة وعلى بعد مائة متر شمالي بغداد واتخذها عاصمة جديدة للدولة . وقد ذاع صيت سامرا بالقصور العظيمة التي شيدها فيها المعتصم وخلفاؤه ، حتى هجرها الخليفة المعتمد سنة ٨٨٣ وأرجع البلاط والحكومة إلى بغداد ، وسقطت أبنيتها الواحد بعد الآخر اللهم إلا الجامع . وقبيل الحرب العظمى قامت بعثات علمية أوروبية بحفائر كبيرة للكشف عن أنقاضها . ولا يخفى أن لهذه الأنقاض أهمية كبيرة في تاريخ الفن الاسلامي ولاسيما في مصر ، لأن أحمد بن طولون الذي كاد أن يستقل بحكم وادي النيل سنة ٨٦٨ م كان قد نشأ في سامرا فنقل إلى مصر ما كان في العراق من أساليب العمارة والزخرفة . ويتجلى ذلك كله في جامع



احمد بن طولون ، الذي يعتبر في عمارته وزخرفته الجصية مثالا حيا من أمثلة الفن العراقي في القرن التاسع الميلادي .

وقد تم بناء هذا الجامع سنة ٨٧٨ وهو يتكون من صحن مربع مكشوف وتحيط به أروقة من جوانبه الأربعة ، وتقع القبلة في أكبر هذه الأروقة ، وهناك ثلاثة أروقة خارجية بين جدران الجامع وبين سورته الخارجي وتسمى الزيادات ، ولعلها بنيت حينما ضاق الجامع عن المصلين ، وجامع ابن طولون مشيد بأجر أحمر غامق وأقواس الأروقة محمولة على دعائم ضخمة من الأجر تكسوها طبقة سميكة من الجص ، بدلا من الأعمدة التي كان المسلمون يأخذونها من الكنائس والمعابد القديمة . ولكن أهم ما يمتاز به هذا الجامع هو مئذنته أو منارته التي تقع في الرواق الخارجي الغربي فتكاد لا تتصل بسائر بناء الجامع وهي مبنية بالحجر وتتكون من قاعدة مربعة تقوم عليها طبقة اسطوانية وعليها طبقة أخرى مثمثة . وأما السلام فمن الخارج على شكل مدرج حلزوني ، وليس لهذه المنارة نظير في الأقطار الاسلامية اللهم إلا في المسجد الجامع وفي مسجد أبي دلف بسامرا .

وأبنية الجامع الطولوني مغطاة بطبقة سميكة من الجص وعلى أجزاء كبيرة منها زخارف هندسية جميلة مأخوذة عن الزخارف العراقية في سامرا . وقد عثر دار الآثار العربية في حفائرها بجهة أبي السعود جنوبي القاهرة على بيت من العصر الطولوني على جدرانها زخارف جصية مأخوذة عن نوع من الزخارف الجصية في سامرا . ومما امتاز به العصر العباسي نوع من الخزف ذو بريق معدني lustre ذاع استخدامه في العراق وإيران ومصر والشام وأفريقية والأندلس وكانت تصنع منه آنية يتخذها الأمراء والأغنياء عوضا عن أواني الذهب والفضة التي كان استعمالها مكروها في الاسلام ، لما تدل عليه من البذخ والترف المخالفين لتعاليم



الدين ؛ كما كانت تصنع منه أيضا تربيعات تكسى بها الجدران كالتى لاتزال باقية حتى الآن فى جامع القيروان .

وقد وصلت إلينا بعض صور وتزاويق من العصر العباسى وجدت على بعض الجدران فى أطلال مدينة سامرا ، وأشهر هذه الصور رسم فيه راقصتان ؛ ويشهد بما كان للأساليب الفنية الفارسية من تأثير على التصوير فى العصر العباسى .

### ج — الطراز الاسبانى المغربى :

قام فى المغرب والأندلس على يد دولة الموحدين فى القرن الثانى عشر الميلادى . والمعروف أن جمع المغرب والأندلس تحت سلطان واحد حدث على يد المرابطين ، وهم أسرة من المسلمين البربر كانت تحكم شمالى أفريقيا منذ القرن الحادى عشر ، ثم حدث أن استعان بها مسلمو الأندلس لمقاومة تقدم المسيحيين فى طرد المسلمين من أسبانيا ؛ فهب المرابطون لنجدة المسلمين فى الأندلس مرة ثم ساروا لنصرتهم مرة أخرى ؛ ضموا بعدها بلاد الأندلس الإسلامية إلى دولتهم فى أفريقية سنة ١٠٩٠ ، ولكن دولة المرابطين فى المغرب لم تلبث أن اضمحلت وخلفتها أسرة الموحدين سنة ١١٣٠ ، وأرسل الموحدون إلى الأندلس جيشا استولى عليها بين سنتى ١١٤٥ و ١١٥٠ وظلوا يجاهدون ضد المسيحيين حتى هزموا سنة ١٢٣٥ وكان ذلك نذير طردهم من أسبانيا ، ومنذ سنة ١٢٣٦ صار نفوذ المسلمين فى أسبانيا قاصرا على مملكة غرناطة التى كان يحكمها بنونصر والتى سقطت فى سنة ١٤٩٢ فانتهى بسقوطها حكم المسلمين فى الأندلس .

وقد كانت الزعامة فى ميدان هذا الفن الاسبانى المغربى لمراكش واسبانيا بينما لم يكن فيه الجزائر أولتونس شأن خطير . ولا غرو فقد كانت الصلة وثيقة بين مراكش والأندلس حين كان الاقليمان خاضعين للموحدين ، ثم بعد أن سقط



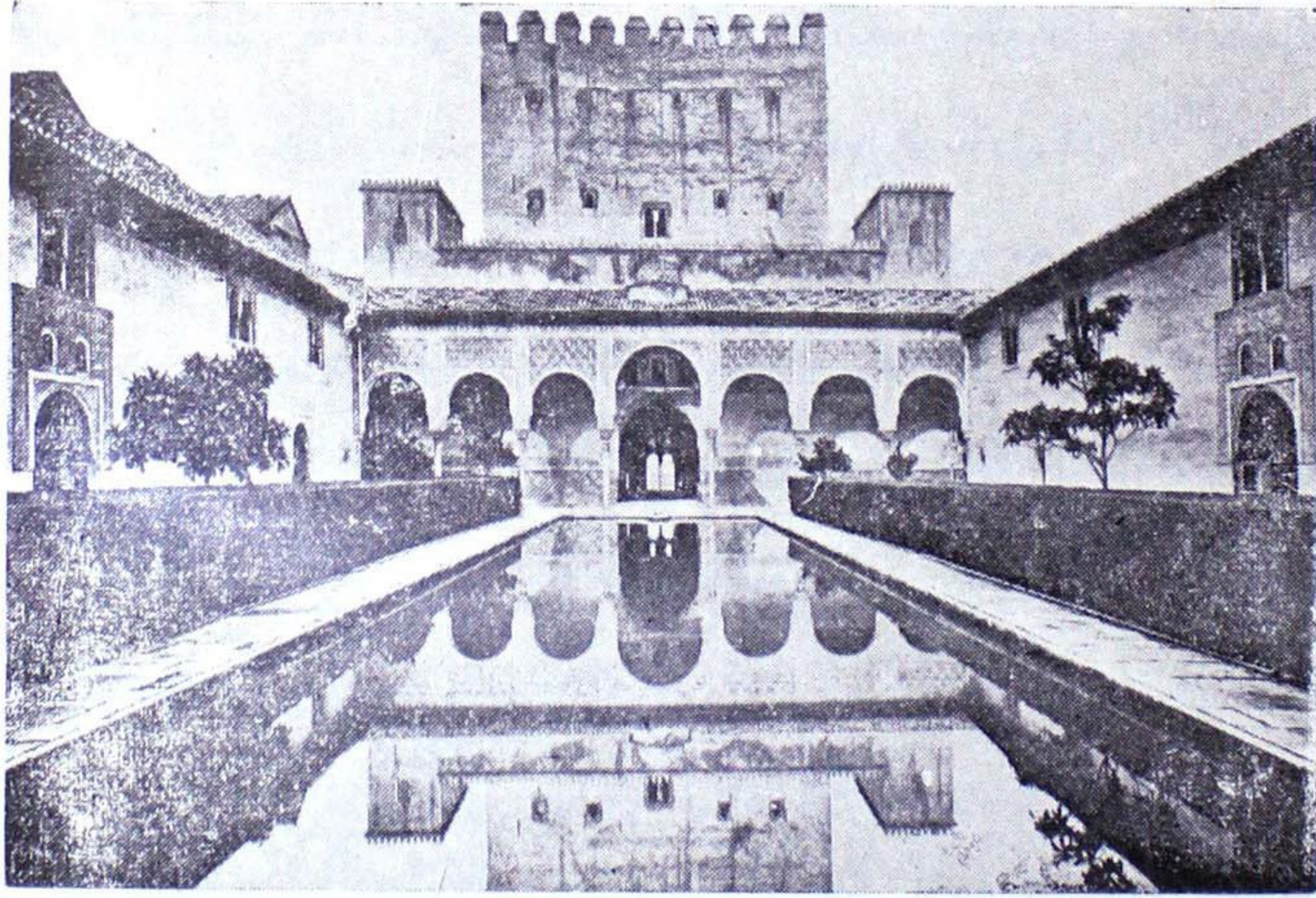
الموحدون في بداية القرن الثالث عشر وغدت الاندلس الاسبانية ممثلة في بني نصر بغرناطة بينما كان يحكم مراکش بنو مرين ( سنة ١١٩٥ - ١٤٧٠ ) . فالى عصر الموحدين تنسب بعض العماثر الشهيرة في الطراز المغربي ، كجامع الكتبية في مراکش والابواب الجميلة في رباط ومراكش ، وكالجيرالدا ( منارة جامع اشبيلية ) وإلى عصر بني نصر في غرناطة يرجع قصر الحمراء سيد العماثر المغربية على الاطلاق ، وقصر جنة العريف ، كما ترجع إلى عصر بني مرين المدارس الجميلة في مراکش . واضمحل الفن المغربي في القرن الخامس عشر وكانت له نهضة ثانية على يد أسرة الاشراف السعديين في مراکش ويرجع إلى عهد هذه الأسرة مشهد السعديين المشهور ومدرسة بني يوسف في مراکش .

ومن مميزات الطراز الاسباني المغربي استخدام نوع من العقود على هيئة حدوة الفرس ، واستخدام الدعائم المبينة من الآجر عوضاً عن الأعمدة ، مما يكسب الأبنية هيبة وجلالا عظيمين .

ولسنا نستطيع أن نستعرض هنا الظواهر المعمارية التي اختص بها هذا الطراز ، وطبعته بطابع خاص يميزه عن سائر الطرز الاسلامية وحسبنا أن نذكر المآذن المربعة ( شكل ٢٣ ) ، والطنف أو الأفاريز الخشبية التي كانت تظل البوابات الضخمة . ونلاحظ أن الأعمدة في قصر الحمراء وفي العماثر التي تأثرت بهذا القصر قد امتازت برشاقتها وجمالها وتيجانها ذات الدلايات أو المقرنصات . كما أن استخدام الفسيفساء من الخزف في تغطية الجدران ، والاسراف في الزخارف المحفورة على الجص ظاهران قويتان في الطراز الاسباني المغربي . كانت كل الظواهر المعمارية المذكورة تتجلى في العمارة الاسبانية المغربية ، ولاسيما المساجد والأضرحة ، وفي القصور ، التي يرجع أقدم الباقي منها - وهو قصر



الحمراء ( شكل ١ ) - إلى القرن الرابع عشر. كما امتاز هذا الطراز بكثرة أبنية المدارس، أدخلها سلاطين الموحدين في اسبانيا والمغرب . وذاع صيت مدينة فاس بكثرة المدارس التي كانت تشتمل غالبا على عدة غرف للطلاب، وعلى قاعة كبيرة للدرس كانت تستخدم للنوم أيضا، وكان بناء المدرسة من طابقين وفي وسطه صحن مكشوف . ولم يكن هناك قسم في البناء لاتباع كل مذهب من المذاهب الأربعة لأن هذه المدارس كانت كلها للمذهب المالكي.



( شكل ١ ) منظر في قصر الحمراء بقرنطبة ، يمثل صحن الرياحين وبرج قمارش .

### د - الطراز المصرى السورى :

كان الفن بمصر في العصر الطولونى ( ٨٦٨ - ٩٠٥ ) تابعا للأساليب الفنية العباسية . ولما فتح الفاطميون مصر سنة ٩٦٩ ، ثم استولوا على جزء كبير من



الشام ، وصارت لهم دولة عظيمة نشأ على يدهم الطراز المصرى السورى . وتطور بعد ذلك على يد المماليك ( ١٢٥٠ - ١٥١٧ ) تطورا بعيد المدى ، حتى ليكننا أن ننسب إلى الفاطميين طرازا خاصا وإلى المماليك طرازا آخر ، ولكننا لسنا فى معرض تفصيل المميزات الدقيقة فى كل منهما ، فلا بأس من أن نعتبرهما هنا طرازا واحدا ، وأن ننظر فى مميزتهما على وجه عام .

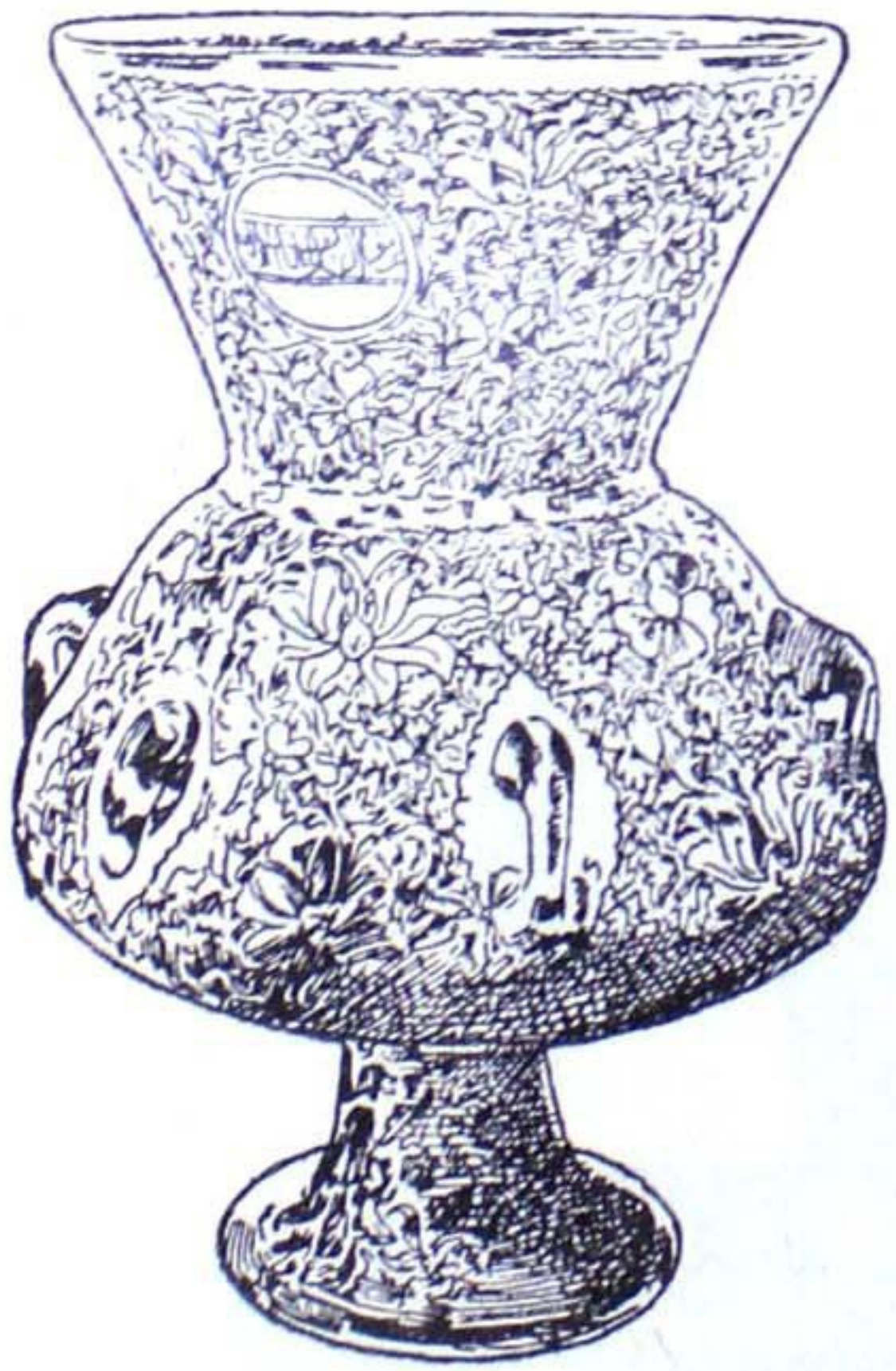
وقد كان الطراز المصرى السورى أكثر اعتدالا واقتصادا فى الزخرفة من سائر الطرز الاسلامية ولاسيما الطراز الاسبانى المغربى .

وقد تأثر الفاطميون بالاساليب الفنية الفارسية بعض التأثير فكثير رسم الانسان والحيوان على التحف التى ترجع إلى عصرهم . وفى دار الآثار العربية ألواح خشبية كانت فى أحد قصورهم . وعليها زخارف محفورة تمثل مناظر صيد وطرب وموسيقى وسفر ، وغير ذلك من صور الحياة اليومية ( شكل ٣٢ ) . كما نجد كثيرا من صور الحيوانات على الخزف ذى البريق المعدنى ، التى تعتبر صناعته من مفاخر العصر الفاطمى ، وعلى قطع النسيج الفاخر التى كان لها تأثير كبير فى صناعة النسيج فى صقلية وفى اسبانيا .

وقد بقى من عمائر العصر الفاطمى الجامع الأزهر ومن الظواهر المعمارية التى يمتاز بها العقود الفارسية الطراز ، وهى مبنية من الآجر وعليها طبقة من الجص غنية بزخارفها النباتية والخطية . ومن أبنيتهم أيضا جامع الحاكم ويمتاز بمنارته ذات القواعد الحجرية ، والجامع الاقمر الذى يمتاز بواجهته ذات الزخارف الجميلة . وفى العصر الفاطمى استخدمت القباب فوق الاضرحة التى شيدت لبعض أولاد الامام على . وقد كانت القباب قبل ذلك تبني فوق جزء من أبواب المحراب فى المسجد وصفوة القول أن الفن فى العصر الفاطمى كان زاهرا وكانت قصور الفاطميين



عامرة بالتحف الفنية التي أقبلوا على جمعها وأفاض في وصفها المؤرخون والرحالة<sup>(١)</sup>.  
أما عصر الدولة الايوبية ( ١١٧١ — ١٢٥٠ ) فقد امتاز بالمآثر الحربية  
ولاسيما القلعة كما امتاز بالمدارس الكثيرة التي شيدها الايوبيون لتدريس المذاهب  
الاربعة ومحاربة العقيدة الشيعية ، وذلك كانت هذه المدارس صليبية الشكل ،  
ولكل مذهب فيها رواق . ومن الظواهر المعمارية في العصر الايوبي القباب  
الجميلة المحلاة زواياها بالمقرنصات كقبة الامام الشافعي . أما في الزخرفة فقد انصرف  
الفنانون عن رسوم الانسان والحيوان وأبدعوا في الزخارف النباتية والهندسية .  
على أن عصر المماليك في مصر هو الذي جعل القاهرة متحفا عظيما ، تتيه بما فيها  
من مساجد وقصور تتجلى فيها عظمة الطراز المصري السورى ، ولا يحد اعجاب  
المشاهد بما فيها من زخارف دقيقة ، وفسيفساء بديعة ، ورخام متنوع الألوان ،



وشرفات مسننة ، وأبواب ضخمة ، ومآذن  
رشيقة ، وقباب منمقة وحسنة النسب ؛ ومن  
أشهر هذه المآثر جامع الظاهر ببيرس وجامع  
قلاوون وجامع الناصر بالقلعة وجامع السلطان  
حسن وهو أحسن مثال للمدارس ذات الأربعة  
الأروقة ، فضلا عن أنه جمع بين الضخامة ودقة  
الزخارف ثم جامع المؤيد ويمتاز بمحرابه وبمنبره  
وبجدارنه المكسوة بالفسيفساء الجميلة .

( شكل ٢ ) مشكاة من الزجاج  
المموه بالمينا . صناعة مصر أو سورية  
في القرن الرابع عشر

ومن التحف النفيسة التي امتاز بها الطراز  
المصري السورى المشكاوات المصنوعة من

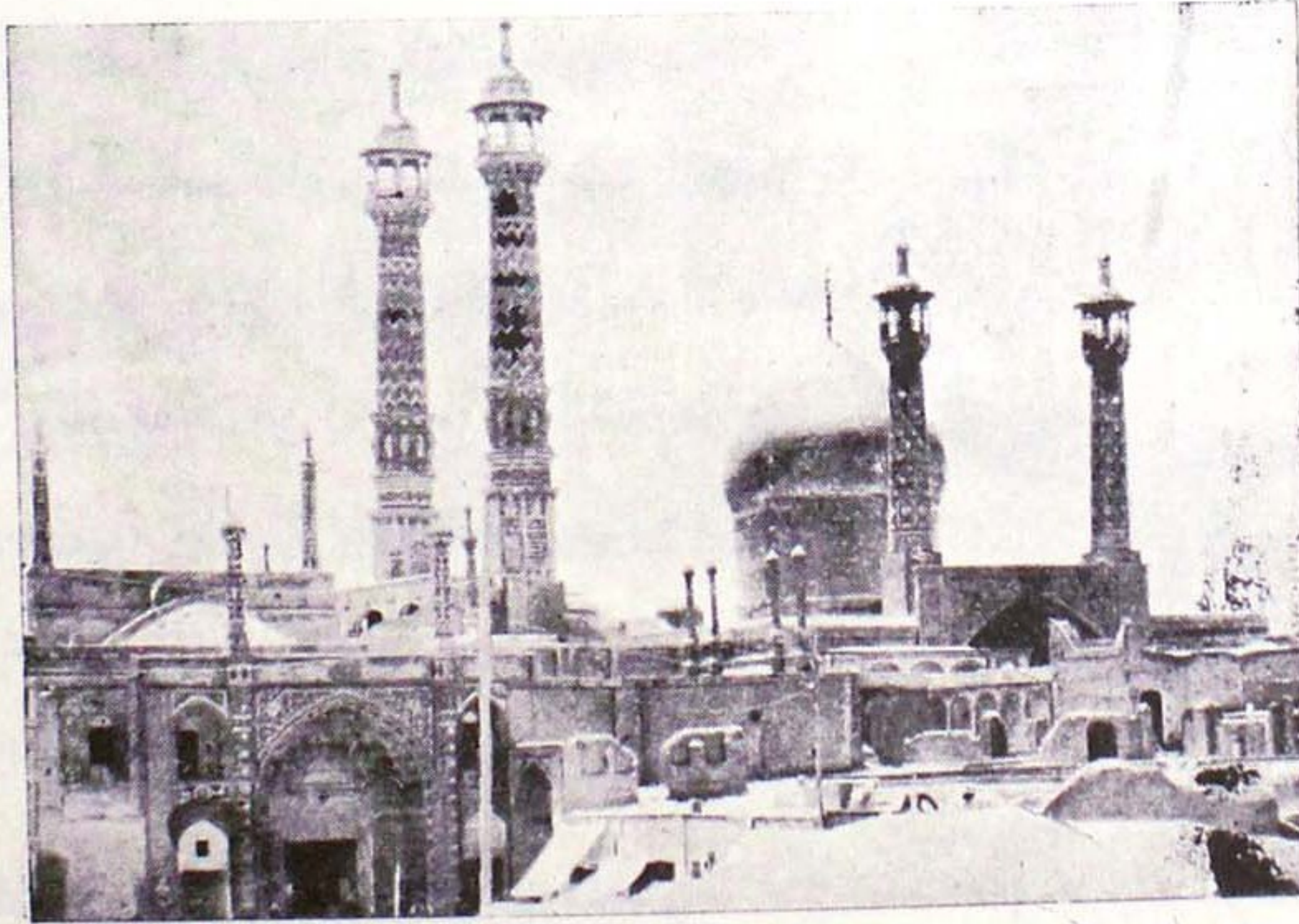
(١) راجع كتابنا كنوز الفاطميين في مصر .



الزجاج المموه بالمينا التي كانت تزدان بها مساجد القاهرة ( شكل ٢ ) ، وتفخر دار الآثار العربية بامتلاك أكبر عدد منها في العصر الحاضر. وكذلك تقدمت صناعة الخزف في عصر المماليك تقدما كبيرا . واتقن الفنانون المسلمون في مصر الخزاف النباتية والهندسية على الأحجار والأخشاب والأقمشة والمعادن .  
ودار الآثار العربية في القاهرة. متحف ثمين يكمل القاهرة نفسها بمساجدها وعمائرها للدلالة على عظمة الطراز المصري السوري وامتيازه بين سائر الطرز الإسلامية بحسن الذوق وروعة المنظر .

#### هـ - الطراز الفارسي :

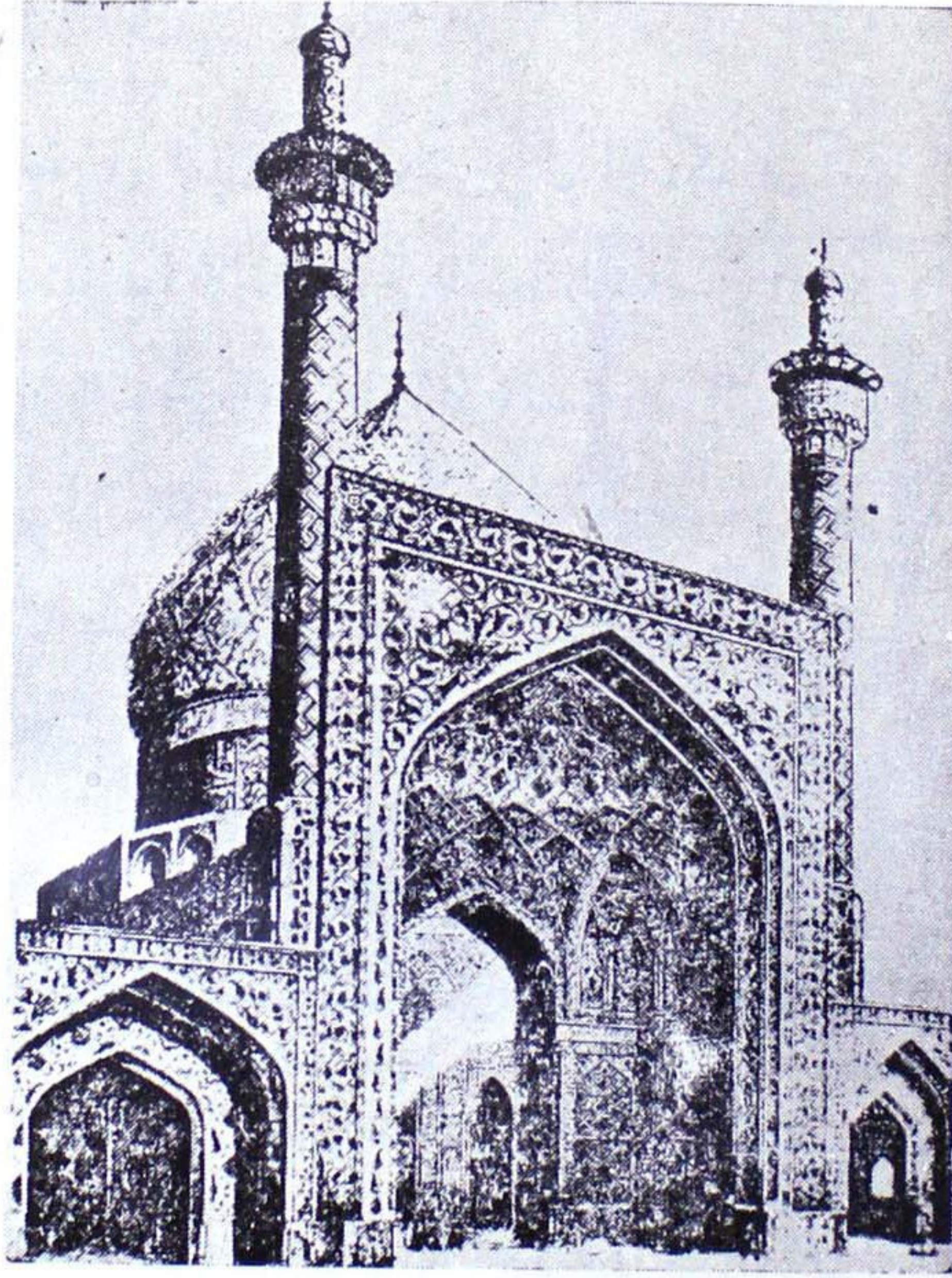
إذا ذكرت إيران في الفن الإسلامي ، فإن أول ما ينصرف إليه الفكر هو الصور البديعة التي رققها الفنانون الفرس ، والسجاد الجميل الذي لا يزال محط إعجاب الشرقيين والغربيين حتى الآن . وقد امتاز الطراز الفارسي بالخزاف النباتية



( شكل ٣ ) مسجد قم بايران



ولا سيما الزهور، وبالأسراف في رسوم الانسان والحيوان والطيور على مختلف التحف الفنية . وقد عنى الفرس بصدق تمثيل الطبيعة ومحاكاة الحياة في رسومهم النباتية ولعل بعض السر في ذلك أنهم تأثروا بالأساليب الصينية في هذا الميدان .



( شكل ٤ ) مدخل مسجد شاه باصفهان

أما العمائر في الطراز الفارسي فتمتاز بكسوتها بالواح القاشاني التي نبغ الفرس في صناعتها .  
ومن أزهى عصور هذا الطراز حكم الأسرة الصفوية في القرن السادس عشر والسابع عشر واليه يرجع الميدان الشاهاني في اصفهان وهو من أجمل ميادين



العالم ويعد الجامع المطل عليه الفخم الجوامع الفارسية .  
ومن الظواهر المعمارية في هذا الطراز العقد الفارسي ( شكل ٤ ) والوجهة  
المستطيلة التي يحف بها من الجنبين مأذنة اسطوانية الشكل دقيقة الطرف في  
أعلىها ، حيث تقوم شرفة تجعلها كالفنار ( شكل ٣ و ٤ ) .

### و — الطراز التركي :

سقط السلاجقة في القرن الرابع عشر وآل الحكم في آسيا الصغرى إلى  
العثمانيين الذين استطاعوا الاستيلاء على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ، وامتد ملكهم  
حتى وصل في القرن السادس عشر إلى المجر ومصر والعراق . وقام بينهم طراز فن  
اسلامي امتاز بتأثير الأساليب المعمارية البيزنطية من ناحية وتأثير الطراز الفارسي  
والأساليب الفنية السلجوقية من ناحية أخرى .

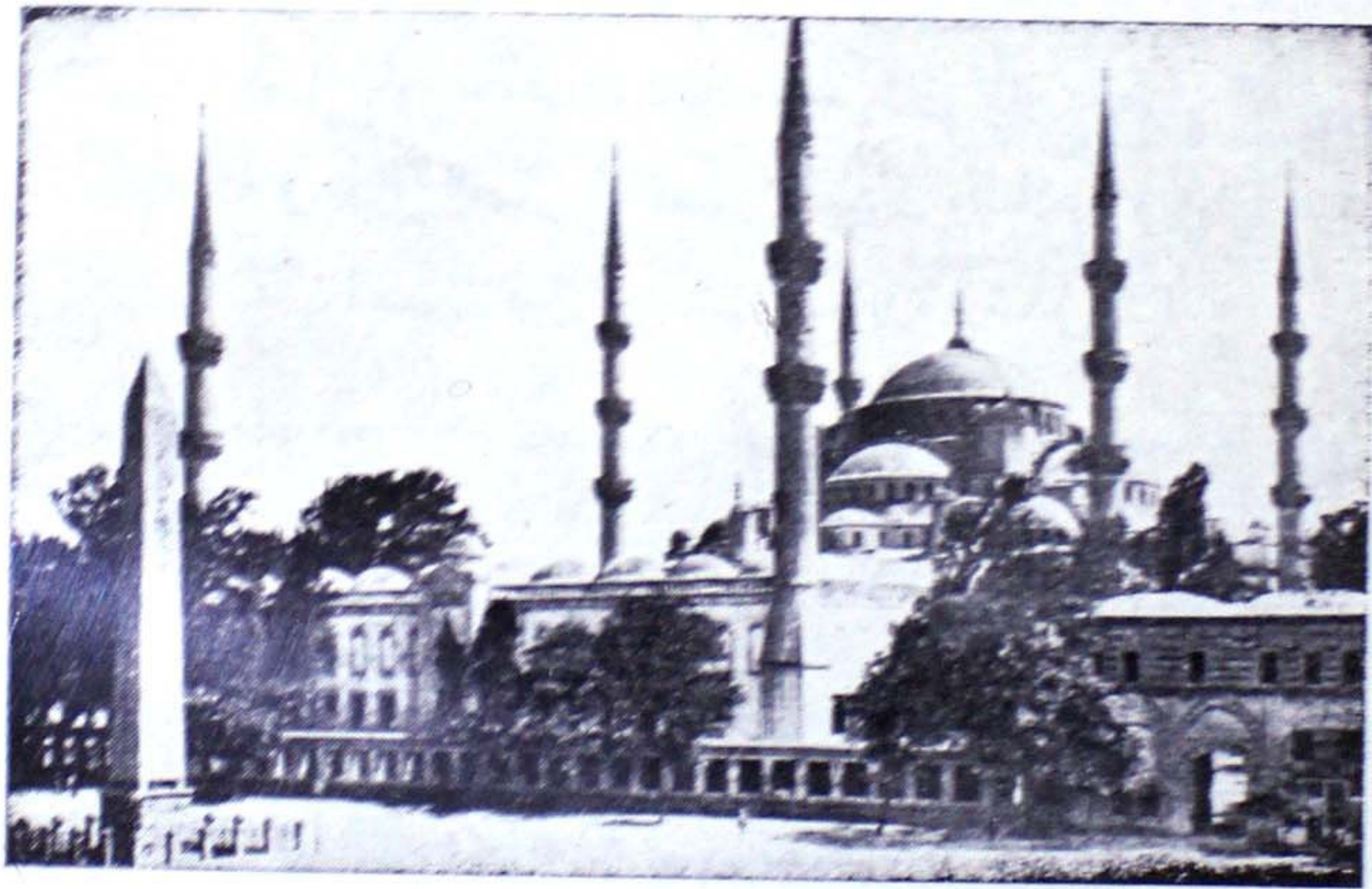
وقد كانت العلاقات وثيقة بين الترك والاوربيين ، فما لبث الطراز التركي أن  
تأثر منذ بداية القرن الثامن عشر بالأساليب ، الفنية في طراز الباروك الأوربي ، ثم  
في منتصف القرن الثامن عشر بطراز الروكوكو .

ولعل خير ما أنتج الترك تحف القاشاني والخزف التي كانت تصنع في آسيا  
الصغرى في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وامتازت بألوانها الجميلة وما فيها  
من رسوم الزهور والنباتات ، كما اشتهر الترك بصناعة السجاجيد الصغيرة للصلاة ،  
وبكتابة المصاحف وتذهيبها بالخط الجميل ، وبنسج الأقمشة الحريرية البديعة  
وتطريزها بالموضوعات الزخرفية النباتية الجميلة مما كان له أعظم الأثر على المنسوجات  
الاطالية ومنسوجات الجزائر اليونانية

أما المساجد التركية فتمتاز بما فيها المشوقة والمتعددة ، وبتصميمها الذي



يشبه تصميم كنيسة أيا صوفيا فيتكون من مربع فسيح تعلوه قبة كبيرة يحيط بها  
أنصاف قباب صغيرة ( شكل ٥ ) .  
ومن أعظم الذين اشتهروا في تاريخ العمارة الاسلامية المهندس التركي سنان .  
المتوفى سنة ١٥٧٨ ومن تصميمه جامع شاه زاده وجامع السلجمانية وجامع البازيدية .  
وقد امتاز الطراز التركي بما شيد فيه من قصور وأسبلة ومصالح ، أكثرها مكسو  
بالقاشاني الجميل .



( شكل ٥ ) جامع السلطان احمد الاول في استانبول

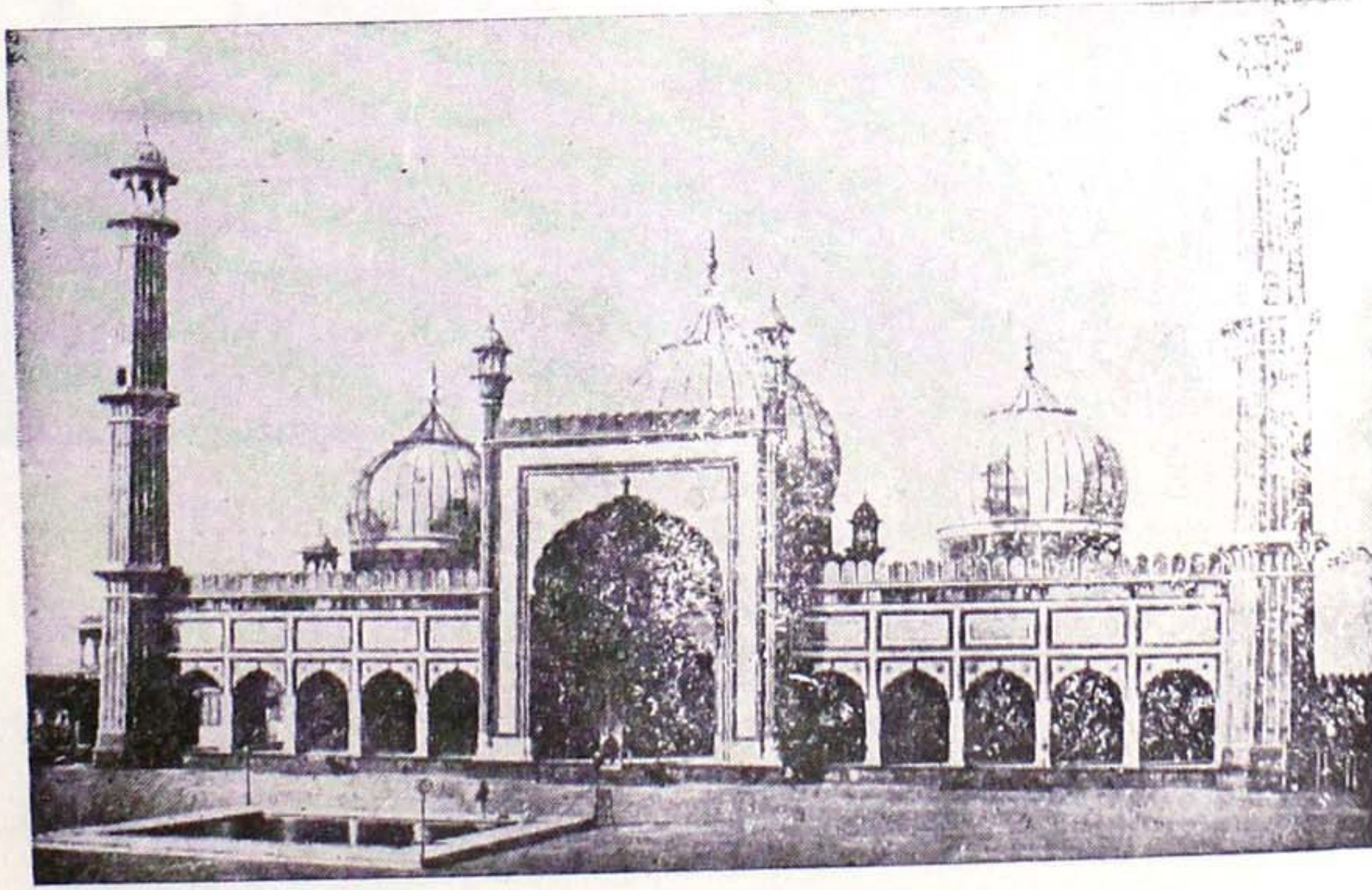
### ز — الطراز الهندي :

تأثرت الهند الاسلامية بالطراز الفارسي تأثرا كبيرا حتى أن كثيرين من  
العلماء يعتبرون الأساليب الفنية الاسلامية فيها منذ عصر المغول جزءا من الطراز  
الفارسي . ولكن الواقع أن العمائر التي قامت في الهند تحت لواء الاسلام في  
القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر احتفظت بظواهر معمارية خاصة



بها ، كما أن الفنانين الهنود اختاروا زخارف وألوانا تتفق وتراثهم الهندي القديم ؛  
فيحسن اعتبار الطراز الهندي طرازا قائما بذاته . وقد امتاز عصر الابطارة «أ كبر»  
( ١٥٥٦ — ١٦٠٥ ) « وجهانجير » ( ١٦٠٥ — ١٦٢٨ ) « وشاه جهان »  
( ١٦٢٨ — ١٦٥٩ ) بازدهار العمائر والفنون . وكانت العاصمة « أجرا » ثم فتح پور  
سكري ثم لاهور ثم دلهي . ولا تزال هذه المدن محتفظة ببعض بدائع هذا الطراز  
الذي امتاز على الخصوص بما شيد فيه من أضرحة مثل تاج محل وضريح محمود  
عادل شاه .

وتمتاز العمائر الهندية باستخدام العقود الفارسية ، وبما آذنها الاسطوانية  
وبقبابها البصلية الشكل ، وبزخارفها الدقيقة . وقد كان تأثير الطراز الفارسي  
أظهر في المساجد منه في سائر العمائر كالمقصور والبيوت والقلاع . ويمتاز الطراز  
الهندي كذلك بالقباب الصغيرة فوق الواجهات الكبيرة ( شكل ٦ ) .



( شكل ٦ ) صورة مسجد الجمعة في دلهي بالهند

أما الصور الهندية فقد ورثت كثيرا من تقاليد التصوير الفارسي ولكنها تختلف  
عنه في الألوان والمناظر الطبيعية ووجوه الأشخاص ( أشكال رقم ٤٦ الى ٥٣ ) .



## عناصر الزخرفة الاسلامية

الفنون الاسلامية زخرفية قبل كل شيء ، فسوف نرى أن الفنان في الاسلام لا يكاد يحتمل رؤية مساحة خالية من الرسوم والزخارف . وعناصر الزخرفة في الاسلام أربعة .

- ١ - الصور الأدمية والحيوانية .
- ٢ - الرسوم الهندسية .
- ٣ - الزخارف النباتية .
- ٤ - الزخارف الخطية .

### ١ - الصور الأدمية والحيوانية :

عرف المسلمون الصور الأدمية ورسوم الحيوانات ، ولكن تمثيل الكائنات الحية كان مكروهاً في الاسلام بوجه عام . وليس في القرآن شيء عن هذا التحريم لأن كلمة « الانصاب » في الآية التي كان المستشرقون وغيرهم يذكرونها في هذه المناسبة<sup>(١)</sup> ، لا يقصد بها سوى الأحجار الكبيرة والاصنام التي كان العرب يعبدونها ويقدمون لها القربان . ولكن كتب الحديث ، وهي لم توضع إلا بعد وفاة النبي بأكثر من قرنين من الزمان ، تنسب اليه بعض أحاديث تحرم تمثيل الكائنات الحية أو تصويرها . وقد يكون صحيحاً أن هذه الأحاديث موضوعة ، وأنها لا تعتبر إلا عن الرأي الذي كان سائداً بين رجال الدين منذ القرن الثالث بعد الهجرة ، ولكننا نميل إلى القول بأن كراهية التصوير في الاسلام ترجع إلى عصر النبي

(١) « إنما الحجر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه... » قرآن كريم



نفسه ، وأن أسامها الرغبة في ابعاد المسلمين عن الصور والتماثيل التي تقر بهم من عبادة الأصنام . كما أن البساطة والترف اللذين كانا سائدين في فجر الاسلام كانا لا يشجعان على نحت التماثيل أو رقم الصور .

وقد قيل إن المسلمين في كراهتهم تصوير المخلوقات الحية كانوا متأثرين بما كان سائدا عند اليهود ، حتى أن الأحاديث النبوية التي تروى في تحريم التصوير تشبه في عباراتها التعاليم اليهودية في هذا التحريم .

والمعروف أن الأمم السامية عامة كانت تكره التصوير أو لم تكن لها فيه مواهب كبيرة وأساليب فنية راقية ، بل يقال أيضا إنها كانت تنسب للصور تأثيرا سحريا ليس هنا مجال شرحه .

وكانت كراهية التصوير وعمل التماثيل عامة بين رجال الدين في الاسلام على اختلاف مذاهبهم من سنيين وشيعيين . ولكن هذا النهي عن تمثيل الكائنات الحية وتصويرها لم يكن يراعى بين المسلمين في كل زمان ومكان ، بل كان لا يلتفت اليه في أحيان كثيرة ، ولا سيما بين الأمم الاسلامية التي لم تكن سامية الأصل ، أو التي كان لها تراث فني ومواهب في التصوير تجعل اقلعها عنه ليس هينا ، كما كان هينا عند العرب أنفسهم . وهذا هو السر في ازدهار صناعة الصور والرسوم التوضيحية miniature painting في ايران والهند وتركيا ، وبه يفسر أيضا وجود الصور الآدمية والحيوانية على منتجات الطراز الفارسي في الفن الاسلامي ، وعلى منتجات العصر الفاطمي بمصر . ولا دخل للمذهب الشيعي في ذلك ، فان الايوبيين مثلا كانوا من أبطال المذهب السني ، ومع ذلك فقد كانوا يقبلون على التحف المعدنية ذات الموضوعات الزخرفية المستمدة من الانجيل . فضلا عن ذلك فان الهنود ، والترک ، والمسلمين الذين شيد لهم قصر الحمراء والذين صنعت لهم التحف



العاجية ذات الزخارف الآدمية ، كل هؤلاء كانوا سنيين بل إن إيران لم تتخذ المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لها إلا منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي .

ومهما يكن من شيء فإن كراهية تصوير المخلوقات الحية كان لها تأثير عميق في طبيعة الفنون الإسلامية يمكن تلخيصه في الأمور الآتية : —

أ — جعلت المسلمين ينصرفون إلى إتقان أنواع أخرى من الزخرفة بعيدة عن تجسيم الطبيعة الحية أو تصويرها ، وقد أفلحوا في هذا الميدان ، حتى أصبحت العناصر الزخرفية التي ابتدعوها طابعاً على فنونهم ، وصارت تنسب إليهم كما يظهر من لفظ « أرابسك » .

ب — أن المساجد وأثاثها والمصاحف روعي في زخارفها استبعاد رسوم الكائنات الحية ، فأصبحت في الغالب خالية من الصور والتماثيل التي يستعان بها على شرح العقائد الدينية وتوضيح تاريخ الدين وحياته أبطاله ، كما في المسيحية مثلاً .  
ج — أن الفنون الإسلامية لا تظهر فيها عبقرية النحات . فالتماثيل التجسيمية لا يكاد يؤبه لها . والفنانون ينصرفون إلى العمارة وإلى زخرفة المباني وتزيين التحف بالرسوم الفنية .

د — أن صناعة التصوير التي ازدهرت عند الفرس والهنود المسلمين والترك لم تعرض للموضوعات الدينية إلا فيما ندر . أجل إن بعض المصورين رسموا صوراً لعدد من الحوادث المشهورة في تاريخ الرسل المختلفين ، كما أنهم رسموا صوراً لبعض الحوادث في السيرة النبوية ( ميلاد النبي — مقابلة النبي للراهب بحيرا في الشام — وضع الحجر الأسود في الكعبة بيد النبي — نزول الوحي — الهجرة إلى يثرب مع أبي بكر — الأسراء والمعراج — تكسير النبي للأصنام في الكعبة بعد فتح مكة — حادث غدير خم الذي يزعم الشيعة أن النبي أوصى عنده



بالخلافة لعلي بن أبي طالب ) ، ولكن أمثال هذه الصور كانت نادرة ولم تحز  
رضاء رجال الدين . حتى لممكننا أن نرى في هذا الميدان فرقا عظيما بين الفنون  
الاسلامية والفنون الغربية ، فقد كان المصورون في الغرب على اتصال وثيق  
بالكنيسة يستلهمونها موضوعاتهم ويستمدون منها تشجيعهم فغلب على منتجاتهم  
الطابع الديني الى عصر غير بعيد . بينما كان رجال الدين في الاسلام ينبذون  
المصورين ولا يقدرون مواهبهم الفنية ولا يمنحونهم أى تعزير .

هـ — ان علت مكانة الخطاطين في الاسلام ، لعنايتهم بكتابة القرآن ،  
ولأن قنهم لم يكن مكروها من رجال الدين ، وكان يليهم في خطر الشأن المذهبون ،  
الذين كانوا يزينون بجميل الرسوم الهندسية والنباتية بعض صفحات المخطوطات .  
وقد زاد الاقبال على منتجات هؤلاء الفنانين حتى أن الذين لم يستطيعوا شراء  
مخطوط بأ كمله كانوا يقنعون بالحصول على نموذج من كتابة خطاط مشهور  
وأصبحت هذه النماذج ضالة الهواة وارتفعت أثمانها ، وكانت في الغالب آيات  
قرآنية أو أبيات من الشعر ، وجمع منها الأمراء والاغنياء في الهند وايران وتركيا  
ومصر المجموعات الفاخرة . وكان على أكثر هذه النماذج توقيع الخطاطين ، ومن  
أعلامهم كعبا ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمى .

و — أن أكثر الفنانين المسلمين لم تكن لهم براعة مشهورة في الرسوم  
الآدمية والحيوانية ولم يكن دأب الفنان صدق تمثيل الطبيعة ، بل كانت له  
أساليب اصطلاحية ظلت باقية في أرق عصور الفن ، فقل أن نجد عناية بجسم  
الانسان ، ونسب الاعضاء . وقوة التعبير في الوجوه للدلالة على المشاعر المختلفة ،  
اللهم إلا على يد نفر قليل من أعظم المصورين الذين نبغوا في إيران . والرسوم  
العارية لا تكاد تكون معروفة في التصوير الاسلامي . وقوانين المنظور مهمة<sup>(١)</sup>

(١) انظر الأشكال من ٧ إلى ١٤ .



وقد تبدو الصور الفارسية مملدة لتشابهها واشتراك المصورين في اهمال الظل والضوء وفي رسم الأشخاص في أوضاع معينة تنمذ أ كثرها شيئاً من الروح والحركة ودقة التعبير ؛ ولكنها مع ذلك لها سحرها وجمالها لأننا نستطيع أن نقول في ثقة واطمئنان إن الفنانين المسلمين لم يصوروا الانسان أو الحيوان وإنما كانوا يتخذون منهما موضوعات زخرفية .

ز — كان لكرهية التصوير في الاسلام صداها في المسيحية . فقد ثبت أن القائمين بحركة كاسرى الصور iconoclasts عند المسيحيين في القرن الثامن الميلادى كانوا متأثرين بتعاليم المسلمين في هذا الصدد .



( شكل ٨ ) كأس من الخزف مذهبة ومنقوشة بالالوان من صناعة مدينة الري بایران في القرن الثالث عشر . محفوظة بمتحف اللوفر في باريس



( شكل ٧ ) غطاء ابريق من الفخار ، عليه زخارف محفورة ومنقوشة . وهو من صناعة ايران في القرن الحادى عشر الميلادى ومحفوظ الآن بمتحف متروبوليتان في نيويورك

### ٢ — الرسوم الهندسية :

عرفت الفنون التي سبقت الاسلام ضروبا كثيرة من الرسوم الهندسية ، ولكن هذه الرسوم لم يكن لها في تلك الفنون شأن خطير وكانت تستخدم في الغالب كإطارات لغيرها من الزخارف . أما في الاسلام فقد اضحت الرسوم الهندسية عنصرا أساسيا من عناصر الزخرفة .





( شكل ٩ ) صورة جمال على قطعة من صحن خزفي ذي بريق معدني ، يرجع الى العصر الفاطمي في القرن الحادي عشر ، ومحفوظ الآن بمجموعة صاحب السعادة اراكيل نوبار باشا والمعروف أن الخزف ذا البريق المعدني من العصر الفاطمي يكون مزينا برسوم آدمية وحيوانية ونباتية جميلة كما يظهر من المجموعة الثمينة المحفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة ، ولكن رسم مثل هذا الجمال نادر جدا في الفنون الاسلامية ، بل إننا لا نعرفه الا على قطعة من صندوق عاجي في مجموعة كران Carrand المحفوظة بمتحف البارجلو Bargello بمدينة فلورنسة .





( شكل ١٠ ) اناء من النحاس من صناعة مصر في عصر المماليك وتظهر في الصورة زخرفة في قاع الاناء من الداخل ، قوامها ست سمكات ملتفة في وضع هندسي جميل حول دائرة صغيرة في وسط القاع . كما يظهر في سطح الاناء صورة الكأس وهي « رنك » الساقى أو شارته في عصر المماليك . وهذا الاناء من مجموعة حضرة صاحب السعادة اراكيل ثوبار باشا . ويذكر شكل هذا الاناء وزخرفته بالأوانى التي كانت تصنع من الفخار المطلى بالمينا في عصر المماليك والتي يوجد على أكثرها رسوم رنوك وزخارف هندسية مختلفة وعبارات بالخط النسخى المملوكى ، فيها أدعية معروفة أو جل مأثورة .



ولسنا نريد هنا أن نغني عناية خاصة بالرسوم الهندسية البسيطة كالمثلثات والمربعات والمعينات والاشكال الخمسة والسداسية، كما لا تعيننا أيضا الأساليب الهندسية التي كان لها شأن يذكر في الزخارف الساسانية البيزنطية كالدوائر،



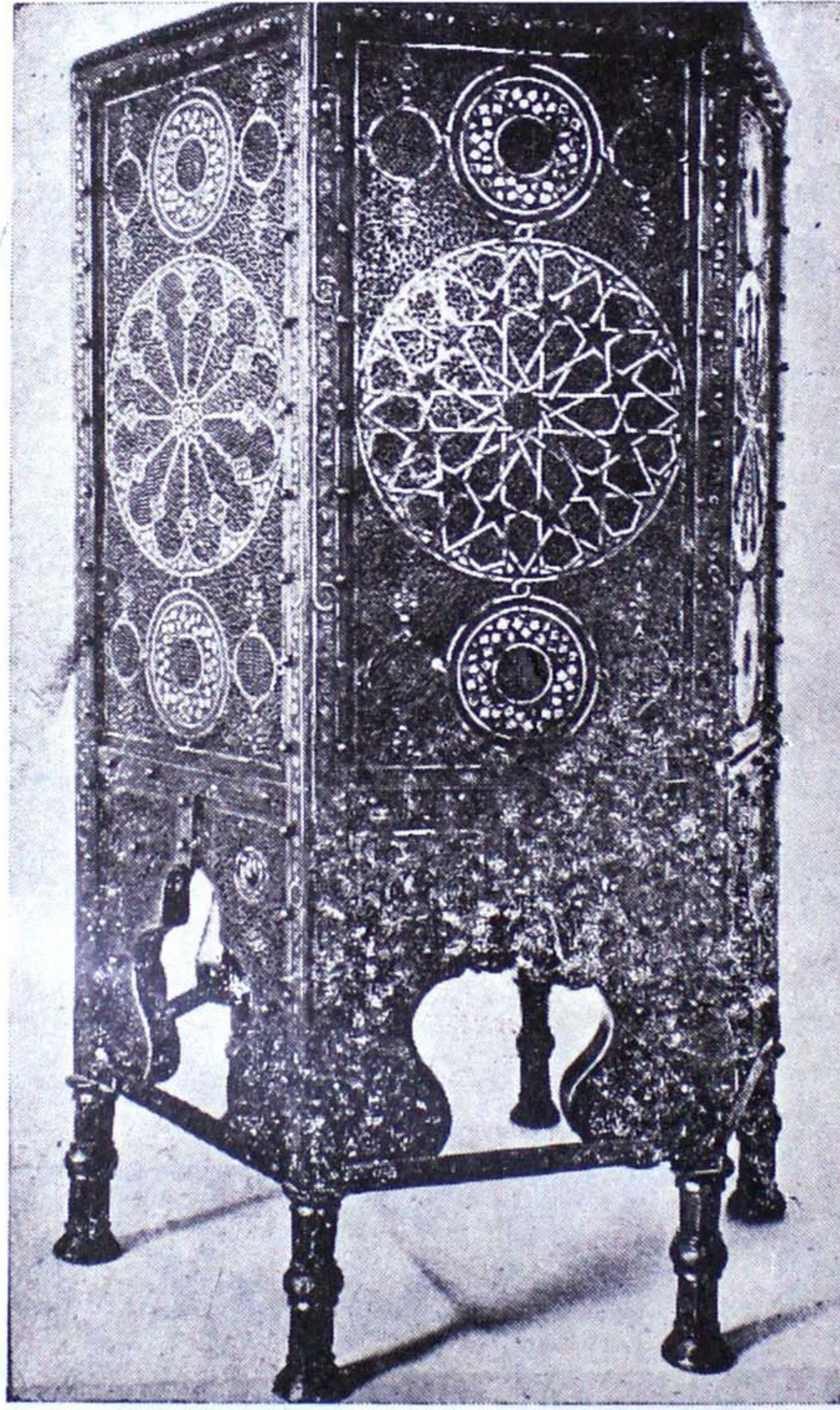
والعصائب والجداول المزدوجة، والخطوط المنكسرة، والخطوط المتشابكة ولكننا نقصد بالرسوم الهندسية التي امتازت بها الفنون الاسلامية ولا سيما في عصر المماليك بمصر: تلك هي التراكميب الهندسية ذات الاشكال النجمية المتعددة الأضلاع. وهي التي ذاعت في مصر واستخدمت في زخارف التحف الخشبية (شكل ١١) والنحاسية (شكل ١٢) وفي الصفحات الأولى المذهبة في المصاحف والكتب وفي زخارف السقوف وغير ذلك. وقد اتقن المسلمون هذا النوع وانصرفوا الى الابتكار والتعقيد فيه.

وقد عني الأستاذ برجوان الفرنسي Bourgoïn (شكل ١١) مصراع باب بدراسة هذه الزخارف الهندسية المعقدة وبتحليلها الى أبسط أشكالها<sup>(١)</sup> ويتجلى من دراسته الطريفة أن براعة المسلمين في الزخارف الهندسية لم يكن أساسها الشعور والموهبة الطبيعية فحسب بل كانت تقوم على علم وافر بالهندسة العلمية. وأعجب الغربيون بهذه الرسوم الهندسية وقلدها بعضهم حتى ليروى عن ليوناردو

(١) راجع J. Bourgoïn : Les éléments de l'art arabe ( Paris 1879).



دافينشى أنه كان يقضى ساعات طويلة يرسم فيها الزخارف الهندسية الاسلامية  
( شكل ١٣ ) .

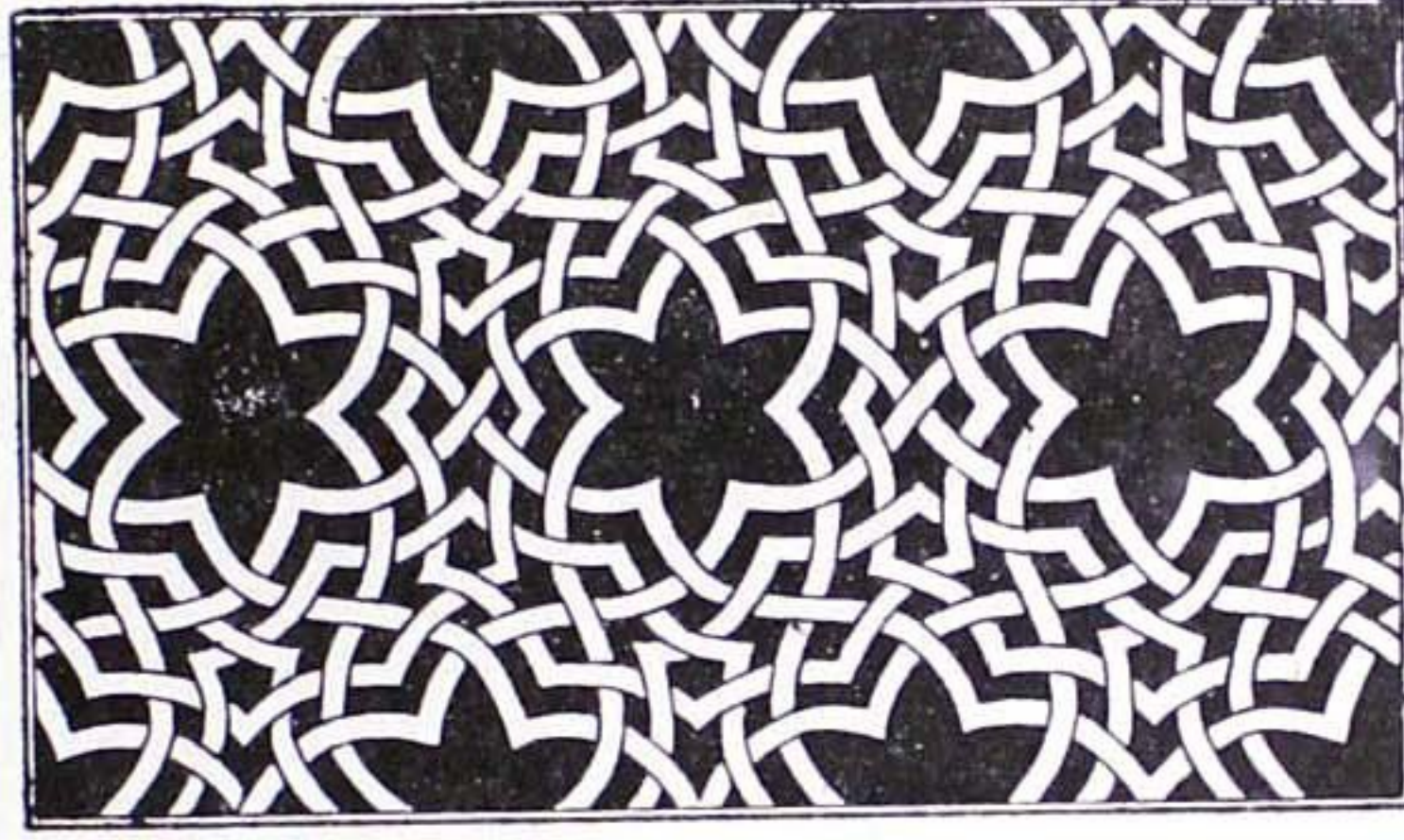


( شكل ١٢ ) كرسى من نحاس مخرم منشورى الشكل ومسدس الاضلاع  
ومكفت بالفضة وعلى جوانبه زخارف هندسية مختلفة . وهو من صناعة  
مصر فى القرن الرابع عشر الميلادى ومحفوظ بدار الآثار العربية

ولسنا نظن أنه كانت ثمة كتب عند المسلمين فيها نماذج الزخارف

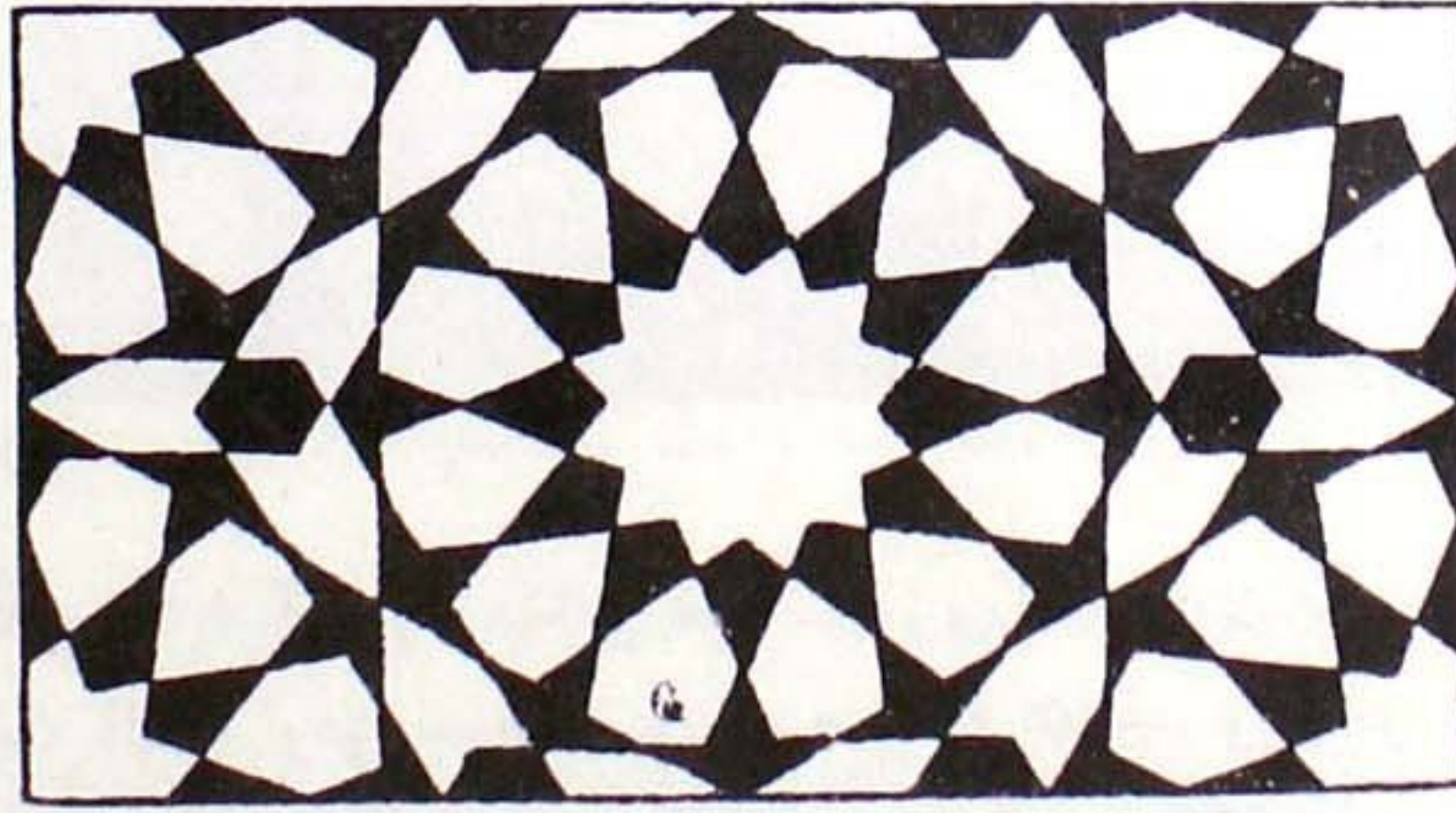


الهندسية الاسلامية الذائعة ، ولكننا نرجح ان هذه الزخارف كانت سرا من



( شكل ١٣ ) زخرفة اسلامية لليوناردو دافينشى

أسرار الصناعة ، يتلقاه الصبيان عن معلمهم فى الفن والمهنة .  
والمشاهد أن الزخارف الهندسية أكثر ذبوعا فى الطراز المصرى السورى  
منها فى سائر الطرز الاسلامية حتى لقد قيل إنها ترجع إلى الفن المصرى القديم  
كما قال آخرون إنها تظهر فى زخارف الخيام والسجاجيد التى كان يصنعها  
الأقوام الرحل الذين كانوا يعيشون فى أواسط آسيا ، وقال فريق ثالث إنها  
ربما تأثرت بالرسم الهندسية التى حذقها فريق من صناع الفسيفساء عند البيزنطيين  
وورثها عنهم صانعوا الفسيفساء المسلمون .



( شكل ١٤ ) زخرفة هندسية اسلامية

والمعروف ان بعض الزخارف الهندسية التى استخدمها البيزنطيون والقبط



انتقلت إلى إيرلنده حيث استخدمت في تزيين الصور التوضيحية في المخطوطات ؛  
ولكن لم يكن لها هناك الوفرة والتمقيد اللذان كانا لها على يد المسلمين ، واللذان  
كان يكسبان بعض أجزائها شيئاً من الحركة والحياة .  
وقد طبعت الفنون الإسلامية بطابع هذه الرسوم الهندسية حتى أن برجوان  
Bourgoin العالم الفرنسي السالف الذكر أشار في معرض دراستها وتحليلها إلى  
ثلاثة فنون عظيمة : هي الفن الاغريقي ، والفن الياباني ، والفن العربي ( الإسلامي )  
وشبهها بالفصيلة الحيوانية والنباتية والمعدنية على الترتيب ؛ إذ أنه شاهد في الفن  
الاغريقي عناية بالنسب وبالأشكال التجسيمية Plastic Forms وبدقائق الجسم  
الانسانى والحيوانى ، بينما عرف في الفن الياباني دقة في تمثيل المملكة النباتية ،  
ورسم الأوراق والفروع والزهور . أما في الفن الإسلامي فقد ذكرته الأشكال  
الهندسية المتعددة الأضلاع بالأشكال البلورية التي توجد عليها بعض المعادن .

### ٣ - الزخارف النباتية :

أما العنصر النباتى فى الزخارف الإسلامية ، فقد تأثر كثيرا بانصراف المسلمين  
عن استيحاء الطبيعة وتقليدها تقليداً صادقاً أميناً . فكانوا يستخدمون الجذع  
والورقة لتكوين زخارف تمتاز بما فيها من تكرار وتقابل وتناظر ، وتبدو عليها مسحة  
هندسية جامدة تدل على سيادة مبدأ التجريد والرمز فى الفنون الإسلامية ( شكل ١٥ ) .  
وأكثر الزخارف النباتية ذيوعا فى الفنون الإسلامية الارابيسك ، وقد عمت هذه  
التسمية حتى كادت تطاق على كل الزخارف النباتية الإسلامية ، ولكن الحقيقة أن  
الارابيسك هى الزخارف المكونة من فروع نباتية وجذوع منثنية ومتشابكة ومتتابعة  
وفيهاموضوعات زخرفية مهذبة ( stylise ) ترمز إلى الوريقات والزهور وتسمى أحيانا



بالمت أو نصف بالمت . وقد بدأ ظهور زخارف الارابسك في القرن التاسع الميلادي ، فتراها في التحف والزخارف الجصية التي كانت تغطي الجدران في مدينة سامرا بالعراق ؛ وفي مصر ابان العصر الطولوني ، الذي كان متأثرا كل



( شكل ١٥ ) حشوة من الخشب المحفور ذي الزخارف النباتية . من صناعة مصر في القرن العاشر أو الحادي عشر .  
محفوطة بدار الآثار العربية في القاهرة

التأثر بالأساليب الفنية العراقية ، نظرا لأن ابن طولون نشأ في سامرا ، ونقل منها إلى مصر الأساليب الفنية التي كانت محبوبة في العراق . كما نرى بدء زخارف الارابسك على التحف الخشبية التي عثر عليها في سامرا أو التي ترجع أيضا إلى العصر الطولوني . وتطورت زخارف الارابسك في العصر الفاطمي حتى بلغت بعد ذلك غاية عظمتها في العالم الاسلامي منذ القرن الثالث عشر ( شكل ١٦ )

وقد أتقن المسلمون زخارف نباتية أخرى غير الارابسك تتكون أيضا من جنوع نباتية وأزهار وأوراق تختلف في دقة تقليد الطبيعة بحسب العصور والأقاليم .



على اننا نلاحظ في ايران منذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي أن الموضوعات الزخرفية النباتية كانت مثالا صادقا للطبيعة ، وكان ذلك بتأثير الفن الصيني الذي تسربت كثير من أساليبه إلى الفن الاسلامي الفارسي على يد المغول في ايران ، ثم انتشرت من ايران إلى غيرها من الأقاليم الاسلامية كما نراها على بعض



( شكل ١٦ ) حوض من الرخام . من صناعة سورية سنة ١٢٧٧ ميلادية ومحفوظ في متحف فكتوريا والبرت بلندن

المشكاوات المصنوعة في سورية أو مصر ( شكل ٢ ) وعلى الخزف والقاشاني المصنوع في سورية أو آسيا الصغرى في القرنين السادس عشر والسابع عشر ( شكل ١٧ و ١٨ ) .

وقصارى القول أن الرسوم النباتية كانت منذ البداية عنصرا هاما من عناصر الزخرفة الاسلامية ، ولكنها كانت ترسم بطريقة اصطلاحية مهذبة . وقد حاول بعض العلماء أن يفسر ذلك بنفور المسلمين من تقليد الخالق عز وجل وصدق تمثيل الطبيعة . وفسرها آخر بالأحوال الجوية التي تسود أغلب البلاد الاسلامية فلا



تساعد على اظهار بدائع الطبيعة ونمو الزهور والنباتات واختلاف الفصول كما يحدث في البلاد الغربية ، أو في بلاد الشرق الأقصى .  
ومع ذلك كله فان على كثير من العماثر والتحف رسوما نباتية دقيقة ، يمكن



( شكلي ١٧ و ١٨ ) لوحان من الفاشاني المنقوش باللوان العديدة . من صناعة آسيا الصغرى في القرن السادس عشر . ومحفوظان بمتحف الفنون الزخرفية في باريس .



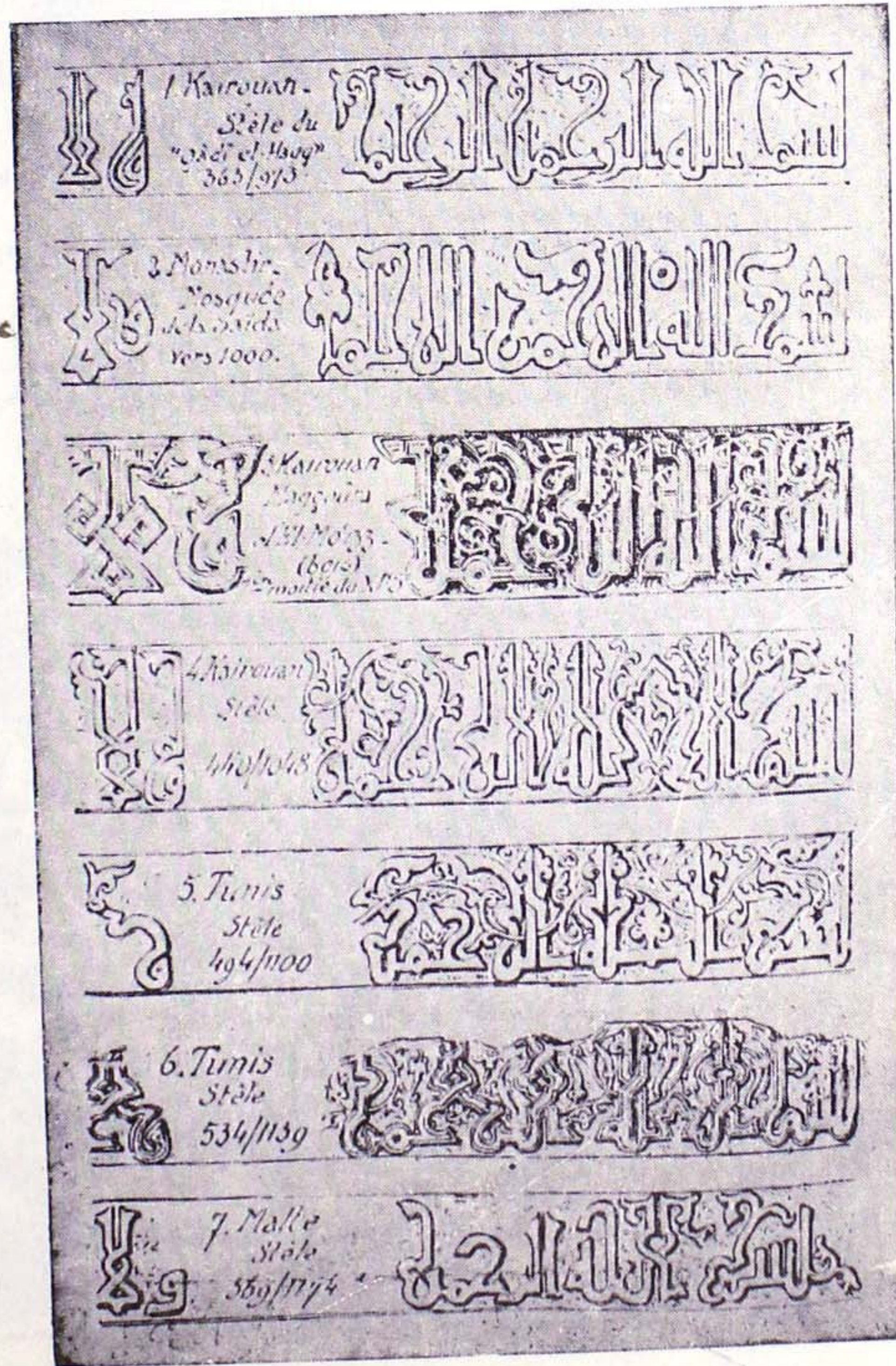
مقارنتها بالرسوم النباتية في عصر النهضة باوروبا . وحسبنا أن نذكر الفروع النباتية وعناقيد العنب وأوراقه وما إلى ذلك مما نراه في قبة الصخرة ، وقصر المشقى ، وسامرا ، وعلى منبر جامع القيروان ، كما نرى غيرها في زخارف العقود والنوافذ في ضريح السلطان قلاوون ، وفي الايوان الرئيسي بجامع السلطان حسن .  
أما زخارف الارابسك فقد أشرنا إلى الخلاف في مدلولها حتى أنها لا تزال تطلق على كل زخرفة قوامها الجمع بين رسوم نباتية اصطلاحية ومهذبة Stylisé ومرتبة ومكررة في أسلوب هندسي أساسه التوافق والتناظر .

#### ٤ — الزخارف الخطية :

وهي حقا ميزة من ميزات الفنون الاسلامية ، فان الكتابات المرقومة على الأبنية والتحف المختلفة ليس المقصود بها دائما اثبات اسم صاحب التحفة أو مؤسس البناء وتاريخه أو التبرك ببعض الآيات القرآنية الكريمة أو ببعض العبارات المألوفة ، بل ان الفنانين المسلمين اتخذوا الكتابة عنصرا حقيقيا من عناصر الزخرفة فعملوا على رشاقة الحروف وتناسق أجزائها وتزيين سيقانها ورؤوسها ومداتها وأقواسها بالفروع النباتية والوريدات (شكلي ١٩ و ٢٠) .  
والمعروف أن الخط العربي قسمان : خط كوفي يمتاز بزواياه القائمة ، وقد كان مستخدما حتى آخر القرن الثاني عشر على المباني وفي المصاحف ، ثم الخط النسخي العادي . وقد كان الخط الكوفي بسيطا في أول أمره ثم تطور في سبيل الرشاقة منذ القرن التاسع الميلادي ، ودخلته الزخارف النباتية المتفرعة والمتشابكة فسمى الخط الكوفي المزهر ، ثم أصبحت الحروف في القرن الحادي عشر أنيقة تقوم على أرضية من الزهور والأغصان ، حتى جاء النصف الثاني من القرن الثاني عشر وبدأ الخط



النسخي يستخدم على الأبنية وفي المناسبات الرسمية بدلا من الخط الكوفي . وقد كان الخط النسخي قبل ذلك غير مستخدم إلا في المخطوطات العادية . وليس الخط النسخي أحدث من الخط الكوفي ، لأن الواقع أنهما كانا معروفين في القرن السابع



( شكل ١٩ ) صورة تمثل تطور الخط الكوفي والعناصر الزخرفية فيه . وذلك على بعض العمائر في افريقية (نقلا عن مارسية)



الميلادى غير أن الخط الكوفى كان شائعا فى الكتابات على الاحجار والنقود وفى المصاحف ، بينما النسخى كان مستخدما فيما عدا ذلك . ولم يكن استخدام الخط فى الزخرفة قاصرا على أشرطة الكتابة الكوفية أو النسخية على الأبنية ، أو على التحف من خزف ومعدن وخشب وعاج ونسيج ومخطوطات فحسب ، بل كان الفنانون المسلمون يبدعون فى كتابة العبارات



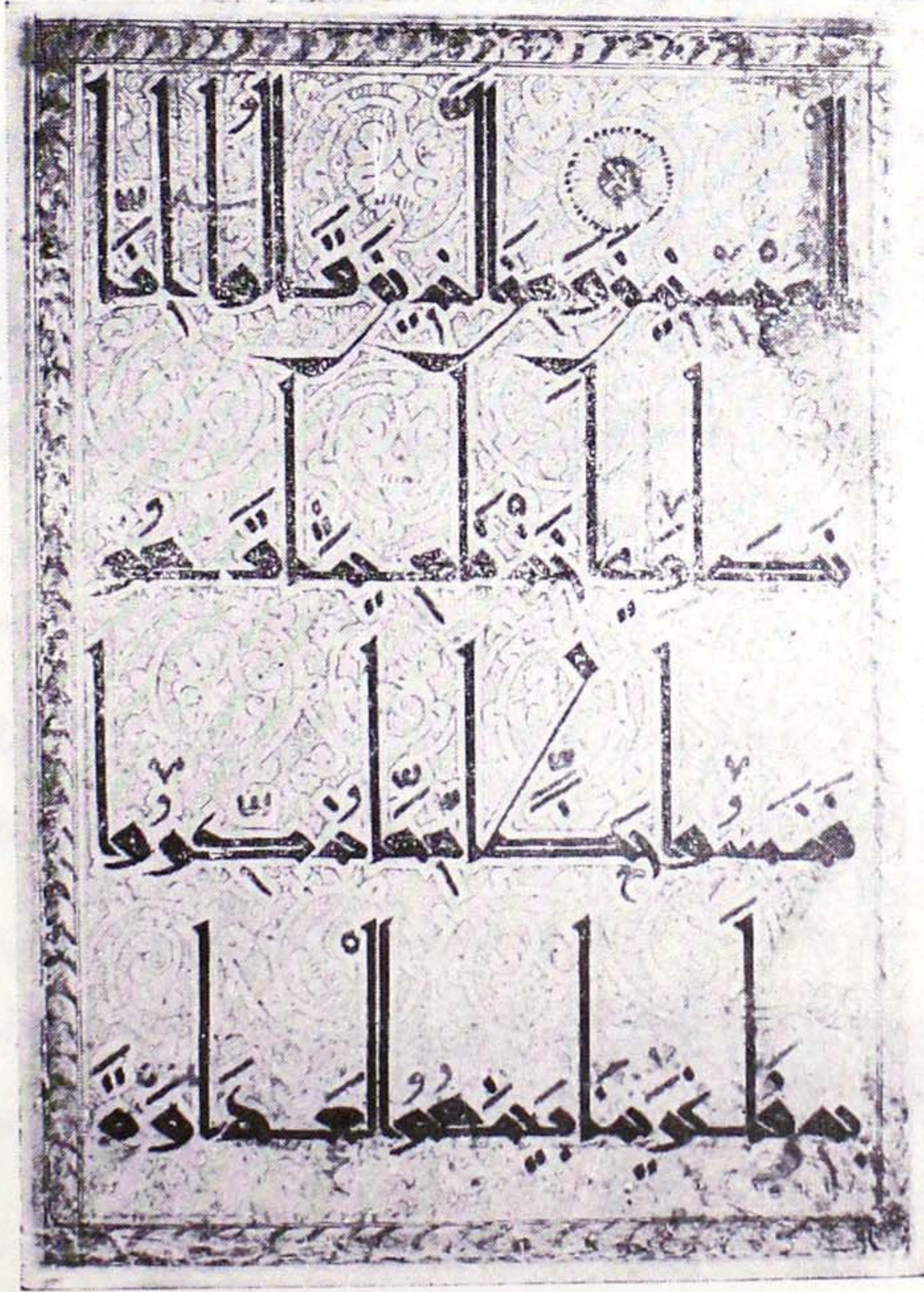
( شكل ٢٠ ) مثال من الزخارف الخطية على قطعة من نسيج إيرانية ترجع الى القرن الثانى عشر ونص العبارة المكتوبة : « وفى القبر وحدتى وفى اللحد وحشقى » ( عن فييت )

بالخط الكوفى المتداخل بحيث تظهر العبارة على شكل مربع أو مستطيل كما كانوا يكتبون العبارة أو الكلمة بالخط النسخى أو بغيره على شكل حيوان أو طائر . وكان تصوير المخطوطات وتحليتها بالرسوم الملونة أمرا ثانويا بالنسبة إلى كتابتها بالخط الجميل . وكان الهواة — كما ذكرنا — يقدرون فن الخطاطين أحسن تقدير فكانوا يبذلون الأموال الطائلة فى سبيل الحصول على منتجاتهم كما يدفع الأوربيون الآن الأثمان العالية للحصول على لوحات مشاهير المصورين .

وبدأت الزخارف فى الظهور على الصفحات المكتوبة فى المصاحف منذ عصر متقدم وكان مجالها أولا رؤوس السور والفواصل بين الآيات وعلامات



الأحزاب والأجزاء غير أن الورقتين الأولى والثانية — وفيهما فاتحة القرآن وبده  
سورة البقرة — هما اللتان عني بهما عناية كبيرة حتى كانتا تزدهمان بالزخارف  
وتلعمان بالألوان البراقة . وأما في المخطوطات غير القرآنية فكانت عناوين  
الكتب أو الأبواب أو الفصول هي التي يعنى بزخرفتها وتلوينها فضلا عن

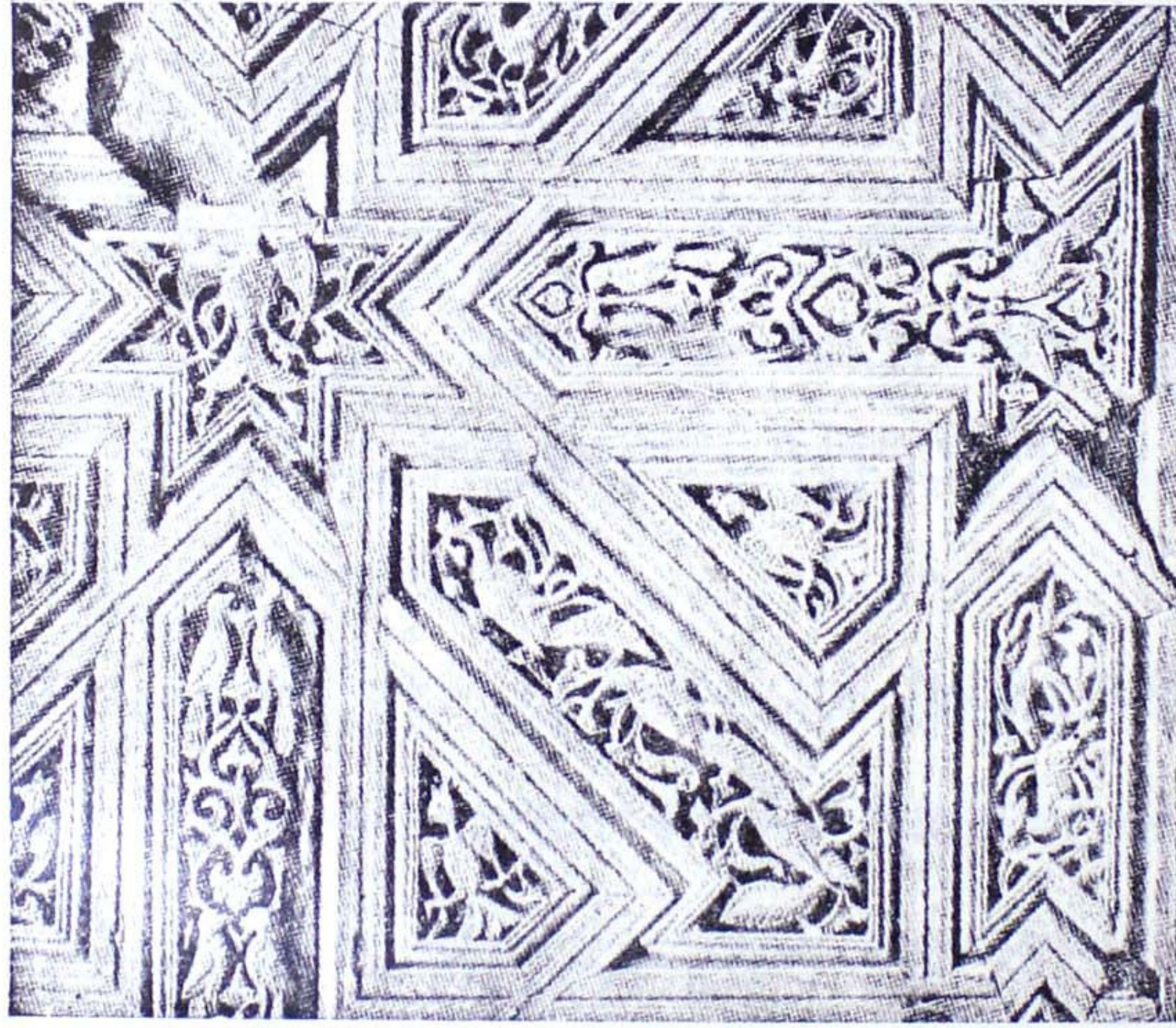


( شكل ٢١ ) صورة صحيفة من مصحف بالخط الكوفي ، لها من صناعة مصر  
أو العراق في القرن الثاني عشر الميلادي . وتظهر في الصورة الزخارف النباتية التي  
تقوم بين الكتابة . وهذه التحفة محفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة



توضيح المتن بالصور الصغيرة Miniature painting التي امتازت برسمها ايران  
والهند ثم تركيا. (١)

ولا يفوتنا قبل الانتقال من عناصر الزخرفة الاسلامية أن نشير الى أن  
بعض التحف يجتمع فيها عنصر أو أكثر من هذه العناصر ( شكل ٢٢ و ٣٨ ).



( شكل ٢٢ ) سقف من الخشب المحفور من صناعة صقلية في القرن الحادي عشر  
ومحفوظ الآن بالمتحف الاهلي في بالرمو

---

(١) راجع كتابنا : التصوير في الاسلام عند الفرس ( مطبوعات لجنة التأليف والترجمة  
والنشر سنة ١٩٣٦ ) .



## بعض خواص الفنون الاسلامية

### ١ - كراهية الفراغ :

وتتجلى في ميل الفنانين المسلمين إلى تغطية المساحات وحرهم من تركها بدون زينة أو زخرفة . فان من أكثر ما يلفت النظر في العائر والتحف الفنية الاسلامية ازدحام الزخرفة وكثرتها واتصالها حتى تغطي المساحة كلها أو جزءا منها . ولذا كانت الفنون الاسلامية فنونا زخرفية قبل كل شيء وكانت فضلا عن ذلك أعظم الفنون خصبا في الزخرفة . ويعبر الغربيون عن هذه الظاهرة في الفنون الاسلامية بالاصطلاح اللاتيني Horror vacui أي الفرع من الفراغ .

### ٢ - الزخارف المسطحة :

فالتواء والبروز نادران في الرسوم الاسلامية ؛ إذ انصرف الفنانون عن التجسيم إلى تغطية المساحات برسوم سطحية ؛ ولكن التلوين والتذهيب خففا من وطأة هذا النقص .

### ٣ - البعد عن الطبيعة :

لم يعمل الفنانون المسلمون على صدق تمثيل الطبيعة بقدر ما كانوا يرسمون الأشياء كما يصورها لهم خيالهم . فطغت على فنونهم الاصطلاحات والأوضاع المبتكرة . ولعل هذا البعد عن الطبيعة ناتج من أن الاسلام ورث التقاليد الفنية البيزنطية بعد أن كانت بيزنطة نفسها — بتأثير المسيحية — سارت في الاتجاه الذي أتته الاسلام بعدها — وهو البعد عن الدقة في تمثيل الطبيعة والتخلص من تقاليد الفن الاغريقي في هذا الصدد . فالمعروف أن الفن البيزنطي فقد جزءا كبيرا مما كان في الفن الاغريقي من تمثيل الأشياء كما هي بدون غلو ولا تجميل ،



فلما جاء الفن الاسلامى سار فى الطريق نفسه وكان نفور المسلمين من تقليد الخالق  
أكبر مشجع على عدم الرجوع إلى الأساليب الفنية الاغريقية القديمة .

٤ — التكرار :

فالمشاهد أن الموضوعات الزخرفية تتكرر على العماير والتحف الاسلامية تكرر  
يلفت النظر . واننا نرى ذلك فى الموضوعات التى يرسمها المصور الفارسى فى  
المخطوطات ، وفى الزخارف الهندسية التى تعم التحف الخشبية فى العصر المملوكى ،  
وفى زخارف الخزف الفارسى والتركى والفاطمى ، وفى الزخارف التى تسود العماير  
الاسبانية المغربية ، وفى سائر التحف الاسلامية على الاطلاق . وحسبنا أن  
نذكر هنا بعض الرسوم التى اعتدنا رؤيتها فى الفنون الاسلامية :

الأرابسك — الرسوم الهندسية — الحيوانات المتواجة أو المتدايرة وقد  
يكون بينها شجرة الخلد الفارسية ( هوما ) — الطيور ولا سيما الطاووس والأرنب  
وقد يكون فى منقار الطائر فرع نباتى ينتهى برسم وريدة أو ورقة نباتية — اناه  
يخرج منه جذع يتفرع إلى اليمين واليسار — النسر ، وقد يكون له رأسان كالنسر  
الذى أصبح رنكا أو شارة لسلطين السلاجقة فى القرن الثانى عشر ، ثم اتخذه  
من بعدهم قياصرة الدولة الرومانية المقدسة فى القرن الرابع عشر — السلطان على  
عرشه وإلى جانبه بعض أتباعه كما يرى فى الصور الفارسية وعلى الخزف ذى  
الألوان المتعددة من صناعة مدينة الرى فى ايران — بهرام جور على فرسه يرمى  
حمار الوحش بسهم واحد فيثبت قدمه باحدى أذنيه — الأمير جالس القرفصاء  
وفى يده كأس .... الخ .

٥ — الرسم التوضيحي والصور الصغيرة :

عنى المسلمون ولا سيما الفرس والهنود ثم الترك بتوضيح بعض الكتب



الأدبية وتزيين دواوين الشعر بالصور الصغيرة . وأقدم ما وصل إلينا من هذه الصور يرجع إلى نهاية القرن الثاني عشر وأغلبه توضيح لحكايات كليلة ودمنه أو لحليل أبي زيد السروجي في مقامات الحريري . ثم تقدمت صناعة التصوير عند الفرس وازدهرت المدرسة الفارسية التثريّة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ثم المدرسة التيمورية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر . وظهر في آخرها بهزاد سيد مصوري الفرس على الاطلاق . أما المدرسة الصفوية في القرنين السادس عشر والسابع عشر فقد نبغ من المصورين فيها سلطان محمد ، وإليه تنسب صورة فيها دعابة وحركة وخفة روح وهي صورة في مخطوط من ديوان حافظ وتمثل منظر شراب تدارفيه الكؤوس فيشرب فيها بعض الحاضرين ويرقص آخرون ويتدحرج البعض على الأرض ويترنح من أسكرتهم الخمر وينظر شيخ في مرآة في يده ، بينما يطرب الجميع موسيقيون بينهم ثلاثة لهم وجوه تشبه وجوه القردة . وفي طرف الصورة حديقة تطل عليها شرفة وقف فيها رجل في يده حبل طويل يتدلى إلى الساق ، يربط فيه ابريق من الخمر ( شكل ٤٤ )

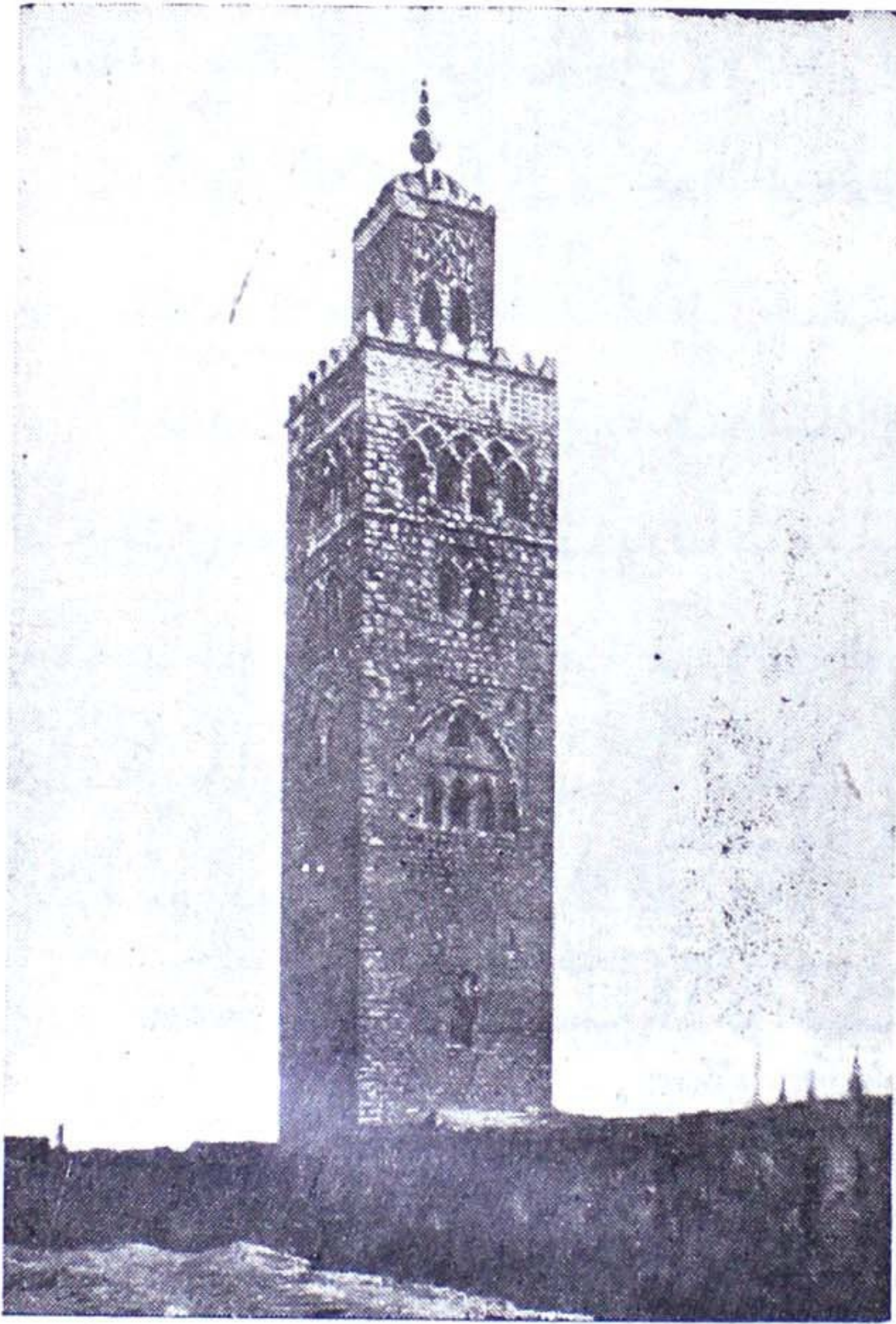
ثم جاء عصر الشاه عباس وخلفائه منذ أواخر القرن السادس عشر . وأقبل الفنانون الفرس على رسم الصور المستقلة ، إذ أن ظهور التأثير الأوربي في منتجاتهم صحبه خروجهم من ميدان المخطوطات وتصويرها وتهذيبها إلى تزيين الجدران ونقش الصور الكبيرة .

وليس هنا مجال البحث في مزايا كل مدرسة من مدارس التصوير الفارسي فحسبنا أن نلفت النظر إلى تلك الصور ، وأن نذكر أنها وحيدة في بابها ، وأن في كثير منها من قوة التفكير وحسن الابداع وجمال الألوان ما يشفع في تقاليدها الوضعية وخيالها الواسع ، ولكن علينا إذا أردنا أن نتذوق بدائعها ألا نقارنها بما أنتجه مصورو الغرب ومن نسج على منوالهم ، لأن لكل طراز من هذين الطرازين مزاياه وعيوبه .



## بعض مميزات العمائر الإسلامية

### ١ - المآذن :



كانت المساجد الأولى في الإسلام لا منارات لها حتى أواخر القرن السابع الميلادي . وقد عرف المسلمون من المآذن أنواعا شتى : منها نوع على شكل برج مربع وقد انتشر في شمالي افريقية والأندلس ومن أمثلته مأذنة المسجد الجامع في القيروان ومنارة الكتبية في مراکش ( شكل ٢٣ ) ومنارة مسجد

( شكل ٢٣ ) مأذنة الكتبية في مراکش . من القرن الثاني عشر الميلادي

إشبيلية (الجيرالدا). أما المنارة في الطراز العثماني فمستديرة ودقيقة

وممشوقة وفي أعلاها مخروط مدبب ومن أمثلتها المآذن في جوامع استانبول وفي جامع محمد علي بالقاهرة .

أما مآذن إيران فليس فيها شرفات لهوذن بل تنتهي في أعلاها بردهة يسندها كورنيش قائم على دلايات أو مقرنصات . وهذا النوع من المآذن يشبه الفنارات وليست له أنيقة سائر المآذن في العالم الإسلامي . وفي الهند كانت



المآذن في الغالب مستديرة تضيق كلما ارتفعت ، وتزينها شرفات وتضليعات ؛ بينما كانت المآذن في مصر وسورية مختلفة الأنواع ، فمنها مثلا المنارة الحزونية في جامع ابن طولون ، ومنها منارة جامع الحاكم الغريبة الشكل ومنها منارات تشبه أبراج النواقيس في الكنائس ، ولكن غلب على مصر وسورية نظام المآذن ذات الأدوار الثلاثة : الأول مربع والثاني مشمن والأعلى اسطوانى .

٢ - القباب :

أخذها المسلمون عن البيزنطيين والساسانيين . وأحسن القباب الاسلامية موجودة في مصر ، وقد امتازت بارتفاعها وتناسق أبعادها وبالزخارف التي تزين سطحها الخارجى . أما في أفريقية فقد كانت القباب على شكل نصف دائرة تقريبا ولم تكن لها زخارف خارجية . وكانت القباب في الطراز العثمانى على شكل نصف دائرة غير كامل كما كانت هناك غالبا قبة رئيسية تحيط بها أنصاف قباب . أما في إيران فقد كانت القباب بصلية الشكل تستند على مقرنصات وتغطى بتربيعات من القاشانى البراق .

٣ - المقرنصات أو الدلايات (Stalactites) :

وهى زخارف معمارية تشبه خلايا النحل ونجدها بارزة ومدلاة في طبقات مصفوفة فوق بعضها ، فى واجهات المساجد أو فى المآذن لتقوم عليها الشرفات التى يدور فيها المؤذن ، أو فى تيجان بعض الأعمدة الاسلامية أو فى القباب بين القاعدة المربعة والسطح الدائرى . وقد استخدمت المقرنصات للزخرفة فى الاسقف الخشبية . ومنها مثال بديع محفوظ فى دار الآثار العربية .  
ومهما يكن من شىء فان الدلايات أو المقرنصات ظاهرة أخرى تدل على غرام المسلمين بالأشكال الهندسية وعلى حرصهم على تغطية المساحات العارية عن الزخرفة



٤ — العقود أو الأقواس :

عرف المسلمون أنواعا كثيرة من العقود . وكان الفنانون في بعض أنحاء العالم الاسلامي يفضلون نوعا خاصا ويقبلون على استعماله . ومن العقود التي استخدمها المسلمون العقد المزخرف بالمقرنصات ونجده في الطراز الاسباني المغربي ، والعقد نصف الدائري ، والعقد العادي المدبب أو ذو المركزين ، والعقد الفارسي الذي ينتهي انحناءه بخطين مستقيمين ، والعقد ذو الفصوص العديدة وكان يستخدم كزخرفة سطحية في البوائك الضياء .

٥ — الأبواب :

عنى المسلمون ، بتصفيح الابواب الخشبية بالبرونز أو بكسوتها بقطع من النحاس المخرم تتركب على أشكال نجوم هندسية وأشكال متعددة الأضلاع . وفي دار الآثار العربية باب خشبي من مصراعين ، مصفح بالنحاس الأصفر المخرم وعليه زخارف جميلة مرتبة في تناظر وتقابل يذكر بزخارف بعض السجاجيد وبزخارف الصفحات المذهبة في المخطوطات . وتبدو في زخارف هذا الباب رسوم حيوانات وطيور مختلفة على أرضية نباتية حتى أن المشاهد لا يفتن إلى وجودها الا بعد فحص دقيق . وعلى هذا الباب كتابة باسم أحد ممالك السلطان قلاوون والمعروف أن هذا السلطان توفي سنة ١٢٩٠ م .

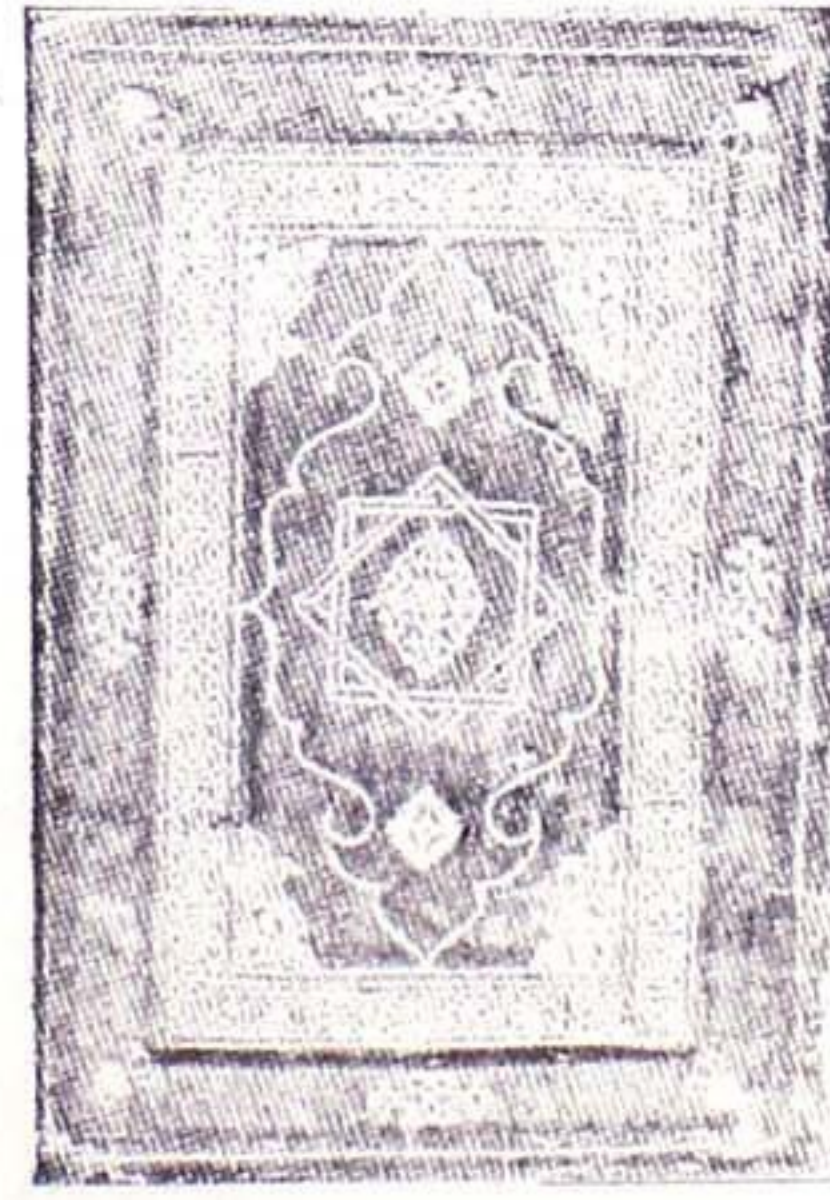


## أثر الفنون الإسلامية في فنون الغرب<sup>(١)</sup>

تأثرت الفنون الإسلامية بالفنون الساسانية والبيزنطية والقبطية والصينية ، ولكنها بعد أن ازدهرت وقوى سلطانها أثرت في الفنون الأوروبية ، حتى لقد نقل الصناع الأوروبيون الحروف العربية واستخدموها للزخرفة بدون أن يفهموا معناها ، كما نقلوا الزخارف الإسلامية من هندسية ونباتية ، وقلدوا أشكال الأواني المعدنية التي كان المسلمون يصنعونها على شكل طيور أو حيوانات صغيرة. وعرف الإيطاليون المنتجات الصناعية الإسلامية إبان الحروب الصليبية ، وأخذ صناعهم يقلدونها ولا سيما في البندقية ( شكل ٢٤ و ٢٥ ) . فكانت الجمهوريات



( شكل ٢٥ ) جلد كتاب من صناعة البندقية في سنة ١٥٤٦ . محفوظ بمتحف فيكتوريا والبرت

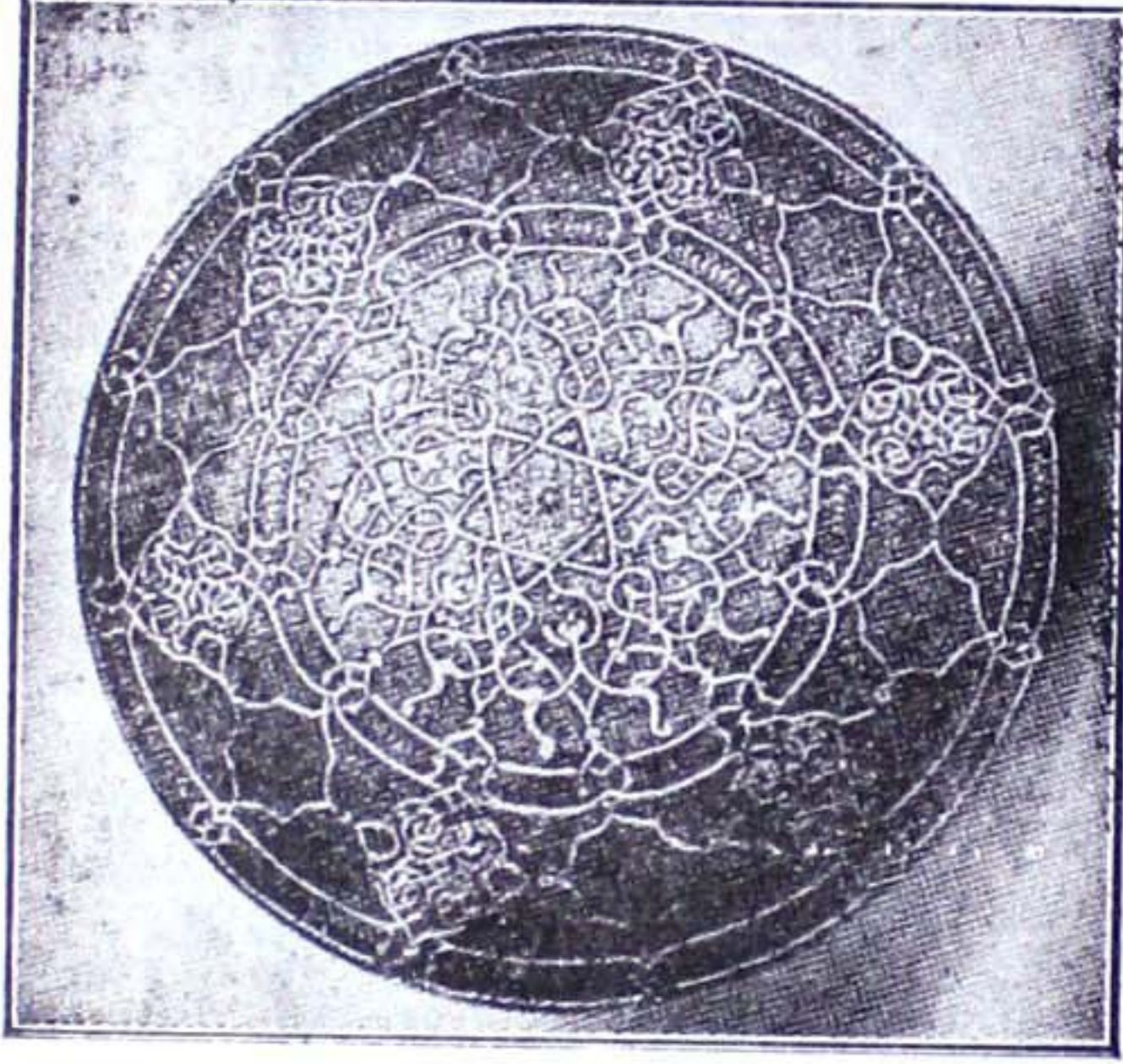


( شكل ٢٤ ) جلد كتاب فارسي من القرن السابع عشر . محفوظ بمتحف فيكتوريا والبرت

(١) راجع كتاب تراث الإسلام (من مطبوعات لجنة الجامعيين لنشر العلم في لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الجزء الثاني في الفنون العربية وشرحه وعلق عليه الدكتور زكي حسن) .

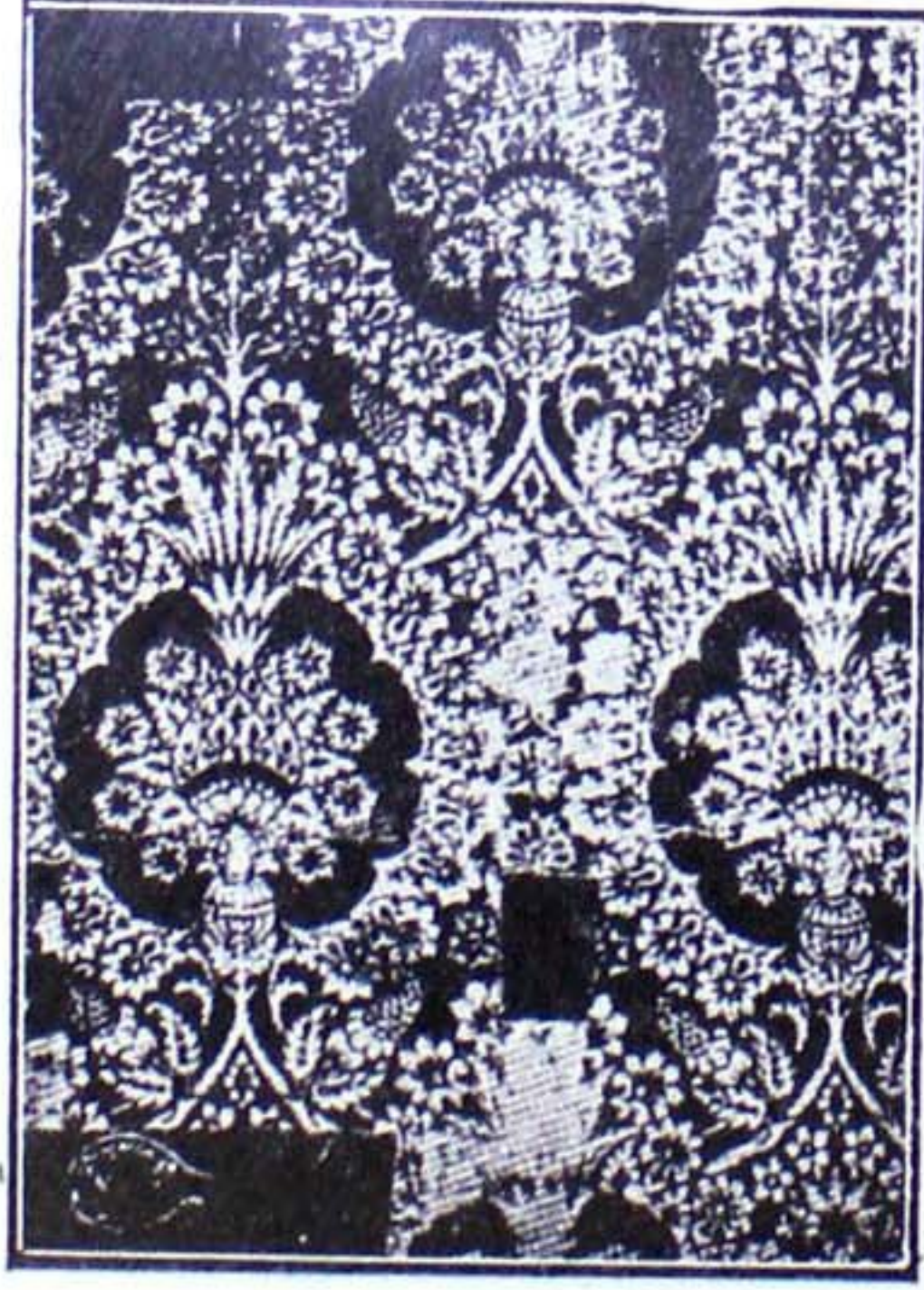


التجارية الايطالية واسطة انتقل على يدها كثير من أساليب الصناعة والزخرفة  
الاسلامية ولا سيما في التحف المعدنية (شكل ٢٦) والزجاجية وصناعة التجليد ،

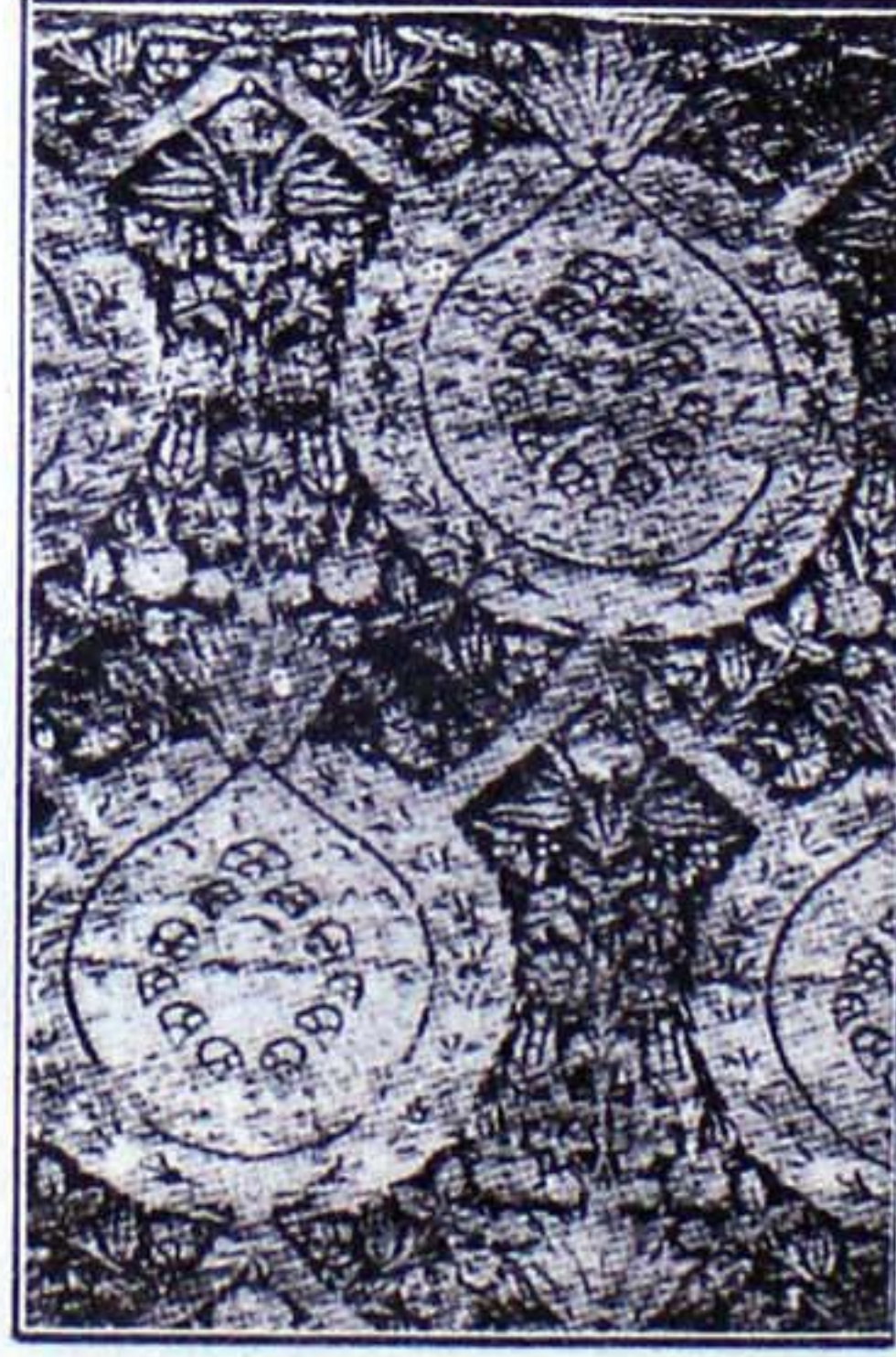


( شكل ٢٦ ) غطاء اناء من النحاس المكفت  
بالفضة . صنع بمدينة البندقية في بداية القرن  
السادس عشر . ومحفوظ الآن بالمتحف البريطاني

كما أخذ الايطاليون أيضا أسرار  
صناعة الخزف من الاندلس . أما صناعة  
النسيج عند المسلمين فقد كان لها  
تأثير كبير في صناعة النسيج عند  
الأوربيين وحسبنا أن أسماء أنواع  
كثيرة من المنسوجات ترجع إلى أصل  
إسلامي مثل Damask ( من دمشق )  
و Muslin ( من الموصل ) ( انظر  
شكلي ٢٧ و ٢٨ ) .



( شكل ٢٨ ) نسيج من الحرير المصنوع  
بايطاليا في القرن السادس عشر ومحفوظ  
الآن بمتحف فكتوريا والبرت



( شكل ٢٧ ) نسيج من الحرير المصنوع  
باسيا الصغرى في القرن السادس عشر ومحفوظ  
الآن بمتحف الفنون الزخرفية في باريس



وكذلك كان لفن العمارة ولا سيما في الطراز الاسباني المغربي تأثير كبير على العمارة في جنوبي فرنسا وإيطاليا ، ولا غرو فان الأساليب الاسلامية في التصميم والزخرفة ظلت باقية في أسبانيا حتى عصر النهضة بعد أن حفظها المدجنون<sup>(١)</sup> على أثر زوال سلطان المسلمين عن الأندلس ( شكل ٢٩ )

وقد عنى الفنانون الغربيون منذ القرن السادس عشر بدراسة الزخارف الاسلامية كما فعل ليوناردو دافينشي وفرانسيكو بلجريينو ( شكل ١٣ )

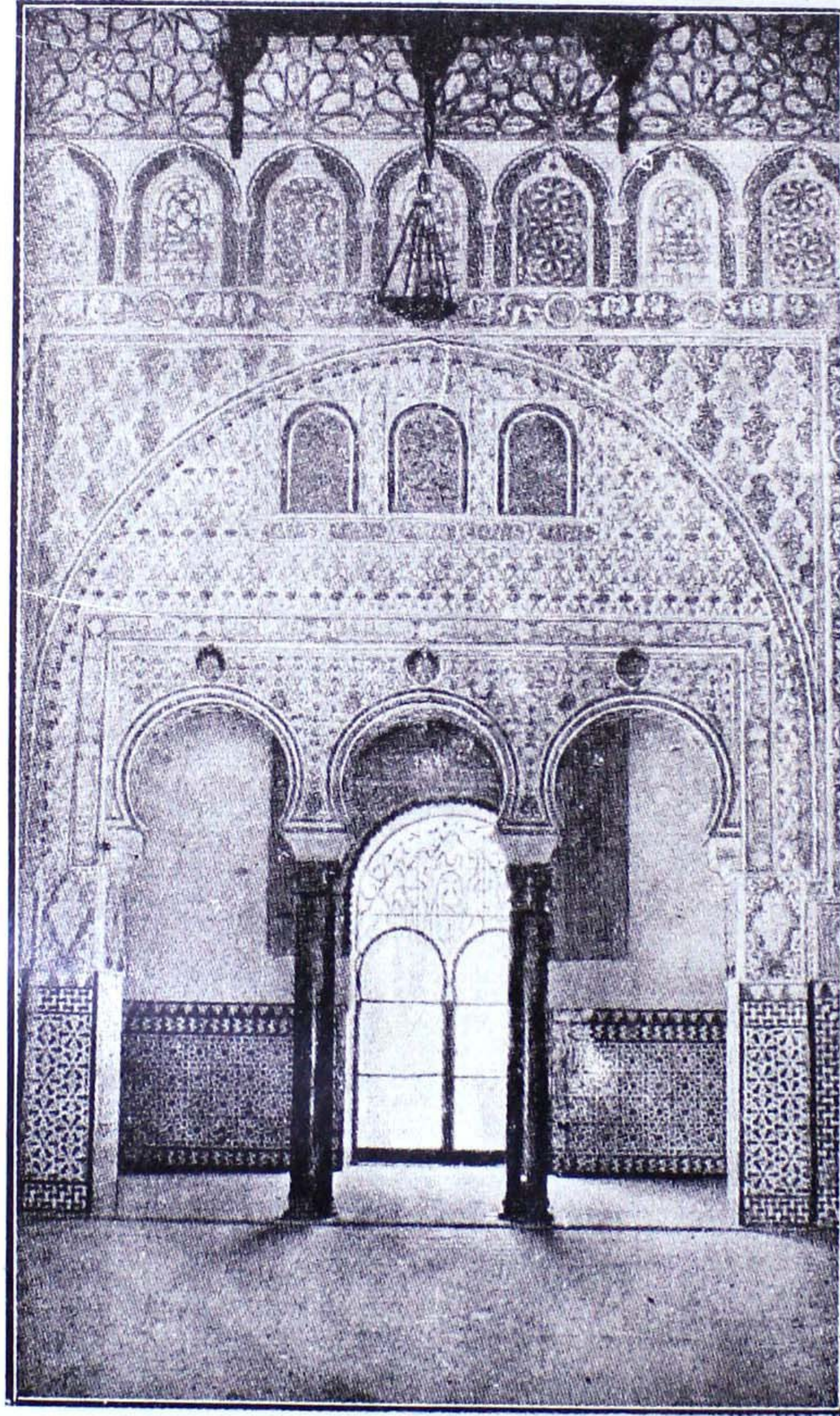
\*\*\*

ومما يجدر بالفنانين معرفته أن الشرق الاسلامي كان له بعض التأثير على فن التصوير الفرنسي في القرن التاسع عشر بعد أن عرف الفرنسيون الشرق في حملة نابليون على مصر وفي حرب استقلال اليونان . وانا لنلمح هذا التأثير في لوحات بعض المصورين الفرنسيين ، ولا سيما ديلاكروا Delacroix وجروس Gros وجريكو Géricault وديكام Decamps وماريلها Marilhat وزاد في هذا التأثير اتصال الفرنسيين بشمالى أفريقية وما قام بينهم وبين تلك البلاد من علاقات فتح وكشف ودراسة<sup>(٢)</sup>.

(١) المدجنون هم المسلمون الذين دخلوا في طاعة المسيحيين وعاشوا في اسبانيا بعد أن عادت الى يد المسيحيين .

(٢) راجع Jean Alazard : L'Orient et la Peinture Française au XIX<sup>e</sup> siècle (Librairie Plon, Paris 1930)



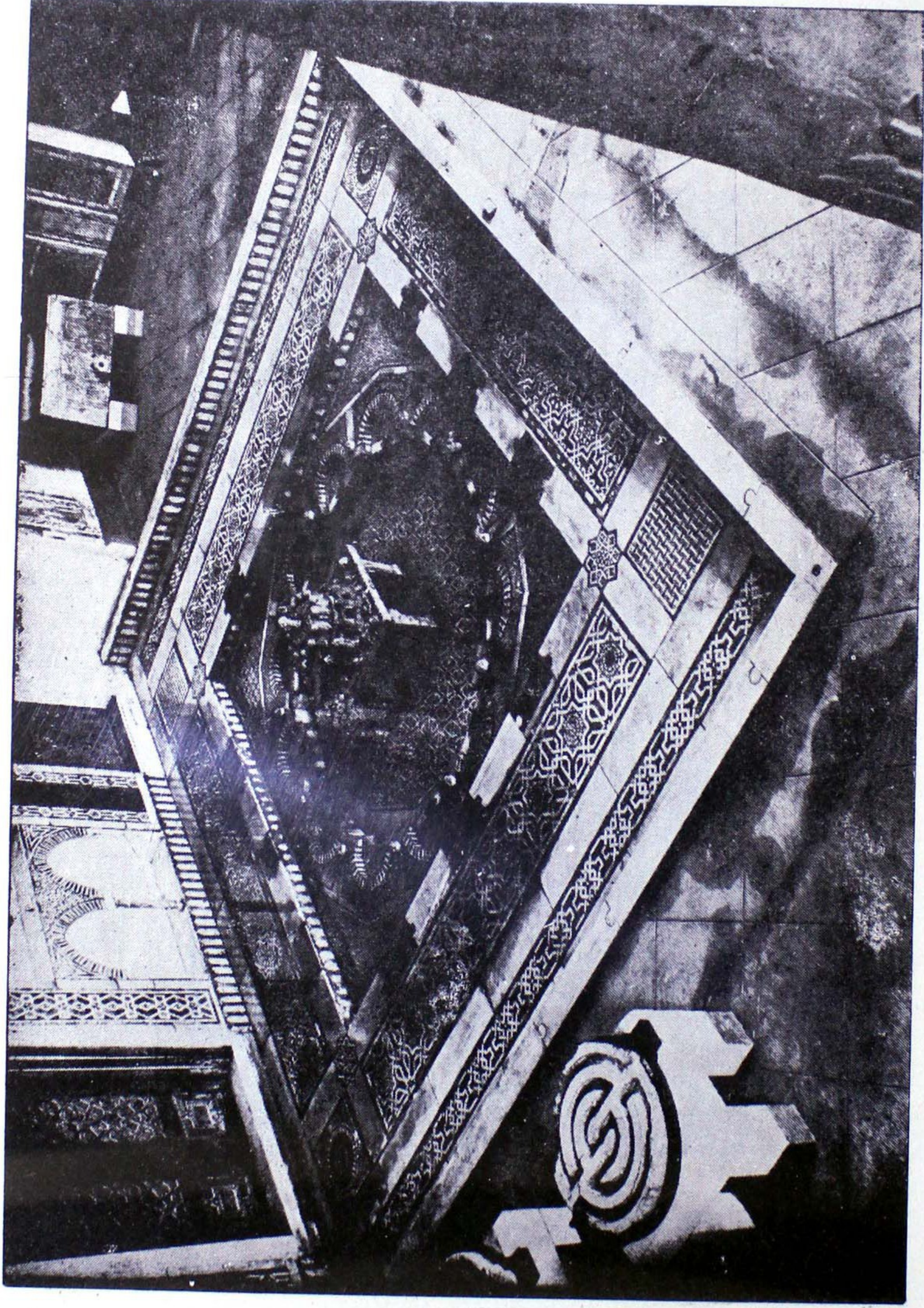


( شكل ٢٩ ) قاعة السفراء بالقصر Alcazar في اشبيلية وترى على جدرانها أنواع  
القاشاني المتعدد الألوان ( azulejos )









( شكل ٣٠ ) فسقية من الفسيفساء المركب من قطع رخامية متعددة الألوان . وفيها زخارف هندسية دقيقة تشبه الزخارف الموجودة في قبة قلاوون  
المشيقة سنة ١٢٨٥ م . وهذه الفسقية محفوظة في دار الآثار العربية







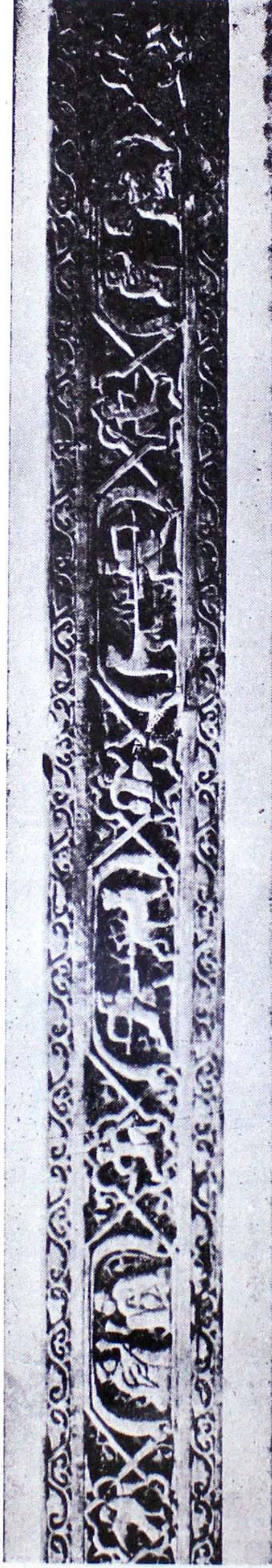


( شكل ٣١ ) قطعة من خشبة محفوفة بدار الأمان العربية وترجع الى العصر الفاطمي  
وهي تمثل حيوانا ينقض على حيوان آخر ، وهذا الموضوع الخزفي قديم في الفنون العريقة . ويذكر النحام هذين  
الحيوانين بما نشاهده على النصف المعدنية التي أنتجها السيت Scythes في شمال غربي آسيا قبل الميلاد بضعمة قرون .







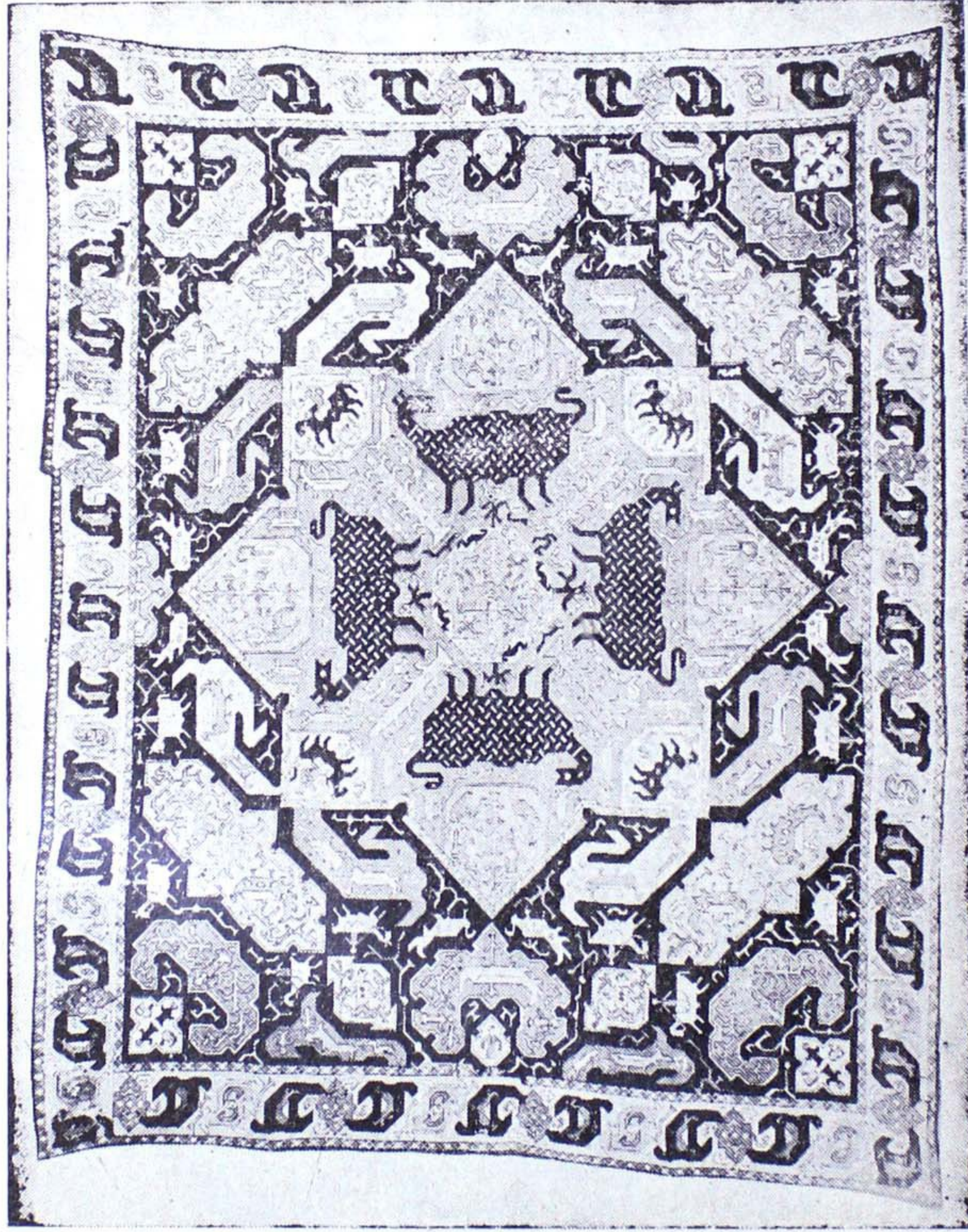


( شكل ٣٢ ) لوح من الخشب يظن أنه من أحد قصور الخلفاء الفاطميين في نهاية القرن العاشر الميلادي ، وعليه مناظر صيد ورقص وطرب ، مرتبة ترتيبا روعى فيه التناظر والتقابل ، وبين بعضها رسوم طيور وحيوانات . وهذا اللوح محفوظ بدار الآثار العربية مع ألواح أخرى من نفس المجموعة . وهناك ألواح تشبهها ومحفوظة الآن في المتحف القبطي بالقاهرة وفي متحف فيكتوريا والبرت بلندن









( شكل ٣٣ ) بقعة من النسيج المطرز المصنوع بايران في القرن السابع عشر الميلادى . وهى  
من مجموعة المسيو فيتالى ماجار بالقاهرة ( عن اليوم معرض الفن الفارسى لقييت )









(شكل ٣٤) اناء من الخزف محفوظ بدار الآثار العربية من صناعة آسيا الصغرى في القرن السابع عشر الميلادي يلفت النظر بزخارفه ذات الألوان الزاهية من أزرق وأبيض وأخضر وأحمر وهو من النوع الشائع نسبتة إلى رودس .







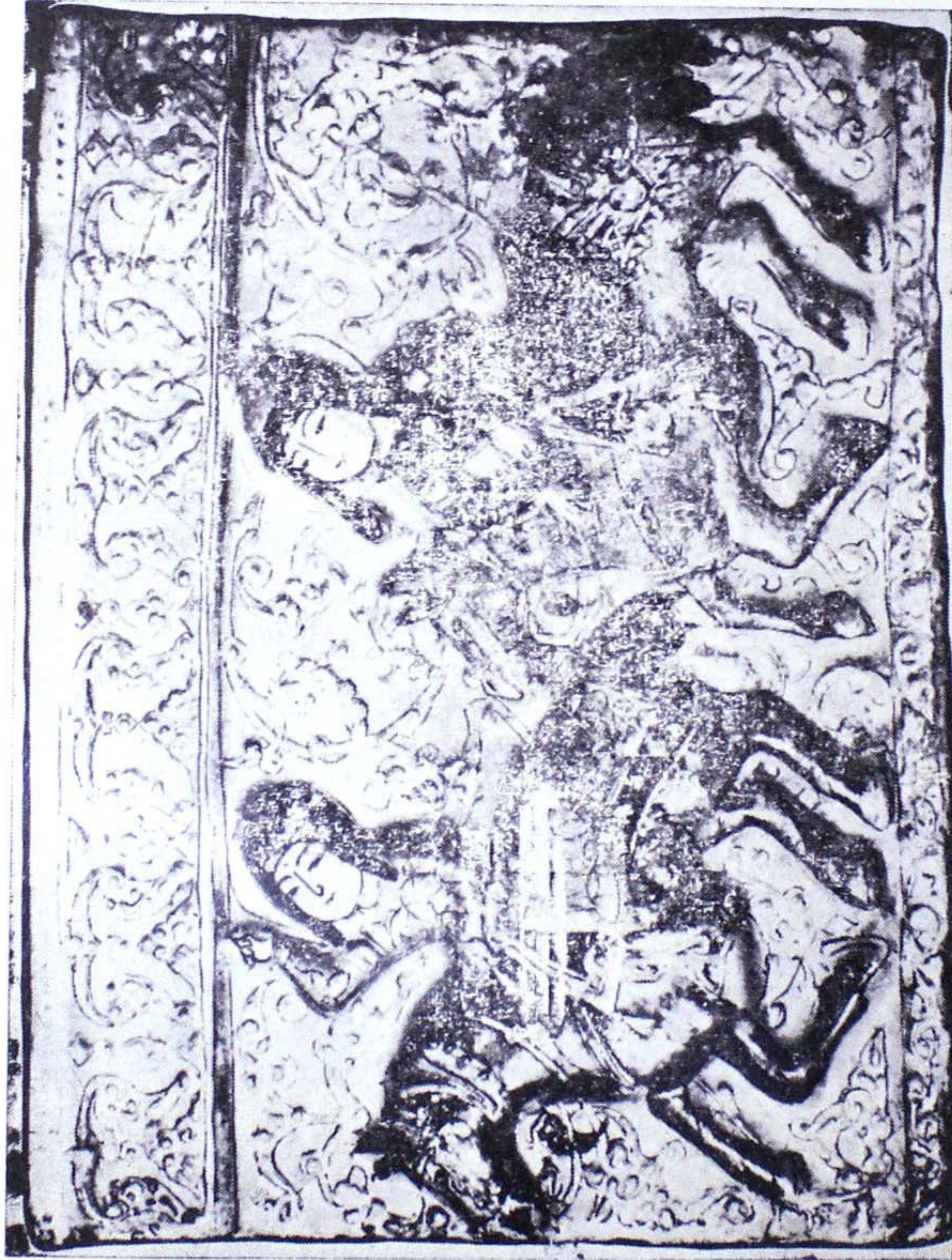


( شكل ٣٥ ) صحنان من خزف صنعا باسيا الصغرى فى القرن السادس عشر الميلادى ومن النوع الشائع نسبته إلى رودس . ومما محفوظان فى دار الآثار العربية









( شكل ٣٦ ) تزيين من الفاشاني المصنوع في مدينة الري بايران في القرن الثالث عشر الميلادي . وهي محفوظة  
بدار الآثار العربية









(شكل ٣٧) صحن خزفي من صناعة أسبانيا في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر الميلادي .  
وهو محفوظ بالقسم الاسلامي من متاحف برلين  
( كالمشيه متحف برلين )







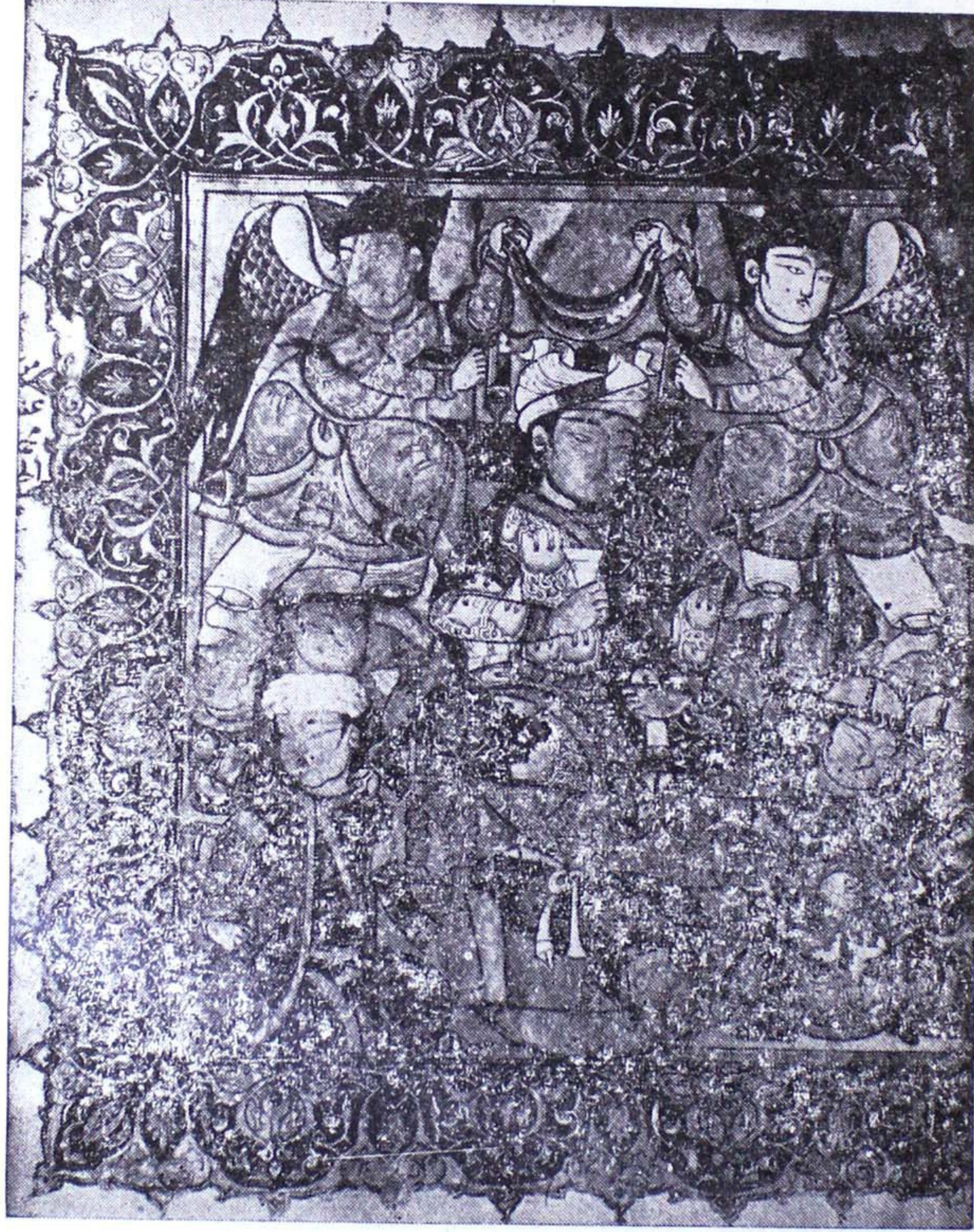


( شكل ٣٨ ) خمار من الديباج الفارسي في القرن السادس عشر ومحفوظ  
بمتحف الفنون الزخرفية في باريس









( شكل ٣٩ ) صورة أمير جالس القرفصاء على عرشه وحوله بعض أتباعه وأمامه بهلوان وخلفه ملاكان مجنحان . ومما يلفت النظر في هذه الصورة بعض التأثير المغولي في رسوم الأشخاص ثم جمال الزخارف النباتية في الاطار . وهي في مخطوط من كتاب مقامات الحريري محفوظ في المكتبة الأهلية بفينا ومؤرخ من سنة ٧٣٤ هـ ( ١٣٣٤ م ) ويلاحظ ما بين رسومها ورسوم أوراق اللعب الحالية ( السكتشينة ) من شبه يستحق الذكر







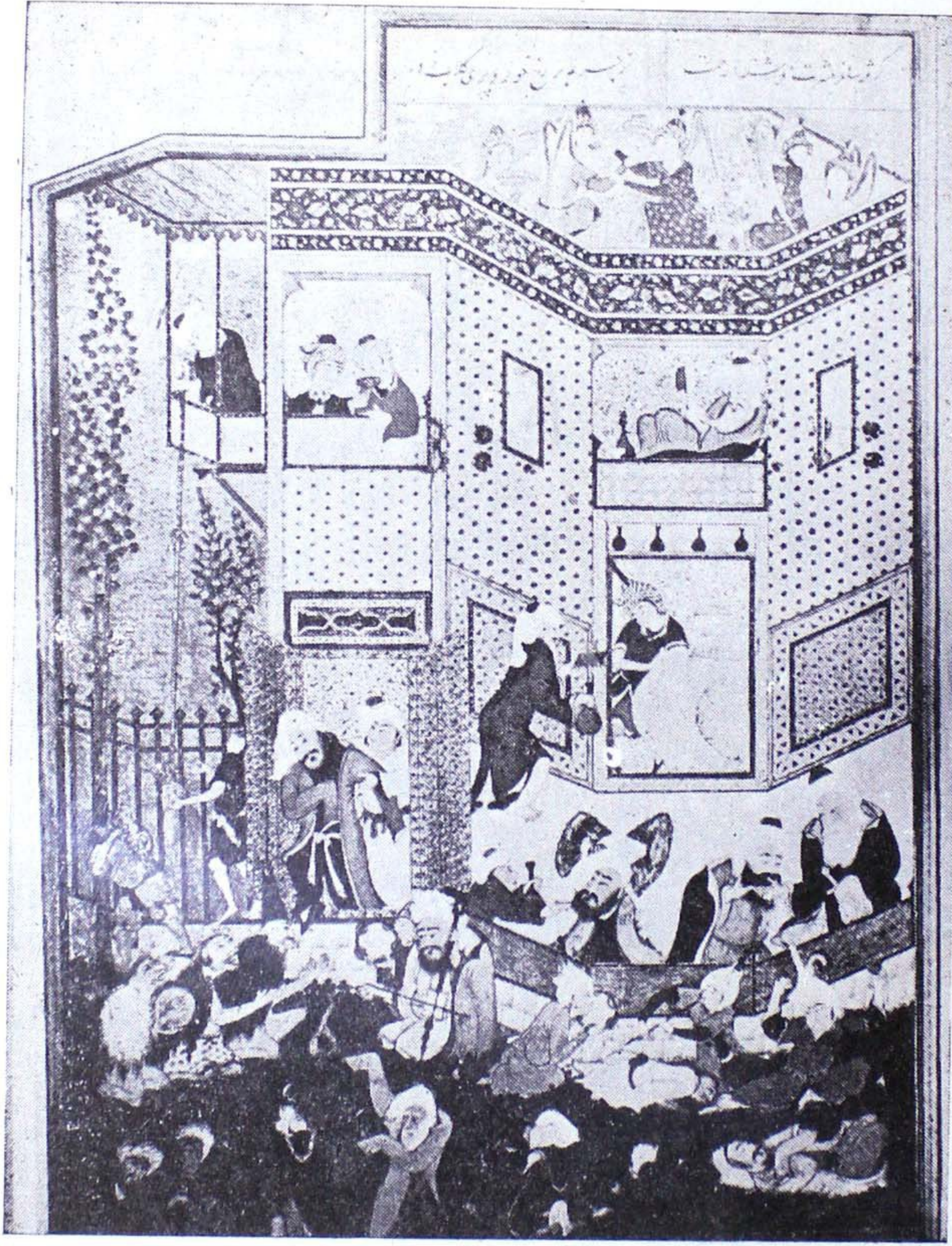


( شکل ۴۰ ) صورة خسرو بقتل بهرام . وهی من منتجات المدرسة الفارسية التبرية سنة  
 ۸۲۳ هـ ( ۱۴۲۰ م )  
 ( من مخطوط لمكتبة الأمير بيسنقر مؤرخ ومحفوظ في متحف برلين )







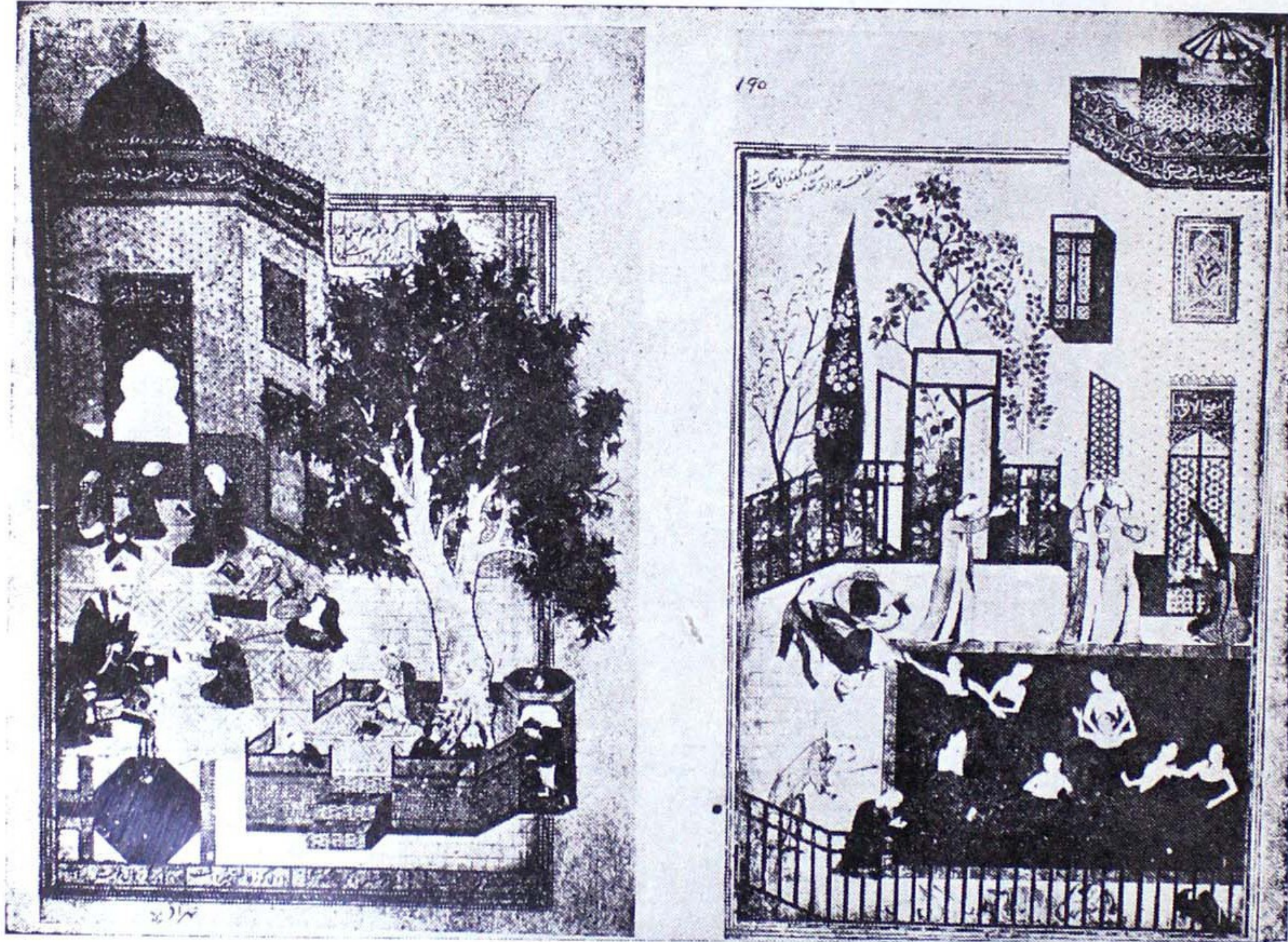


( شكل ٤٤ ) صورة مجلس طرب وشراب. من عمل المصور الفارسي سلطان محمد في القرن السادس عشر الميلادي ( مجموعة كارتبيه )







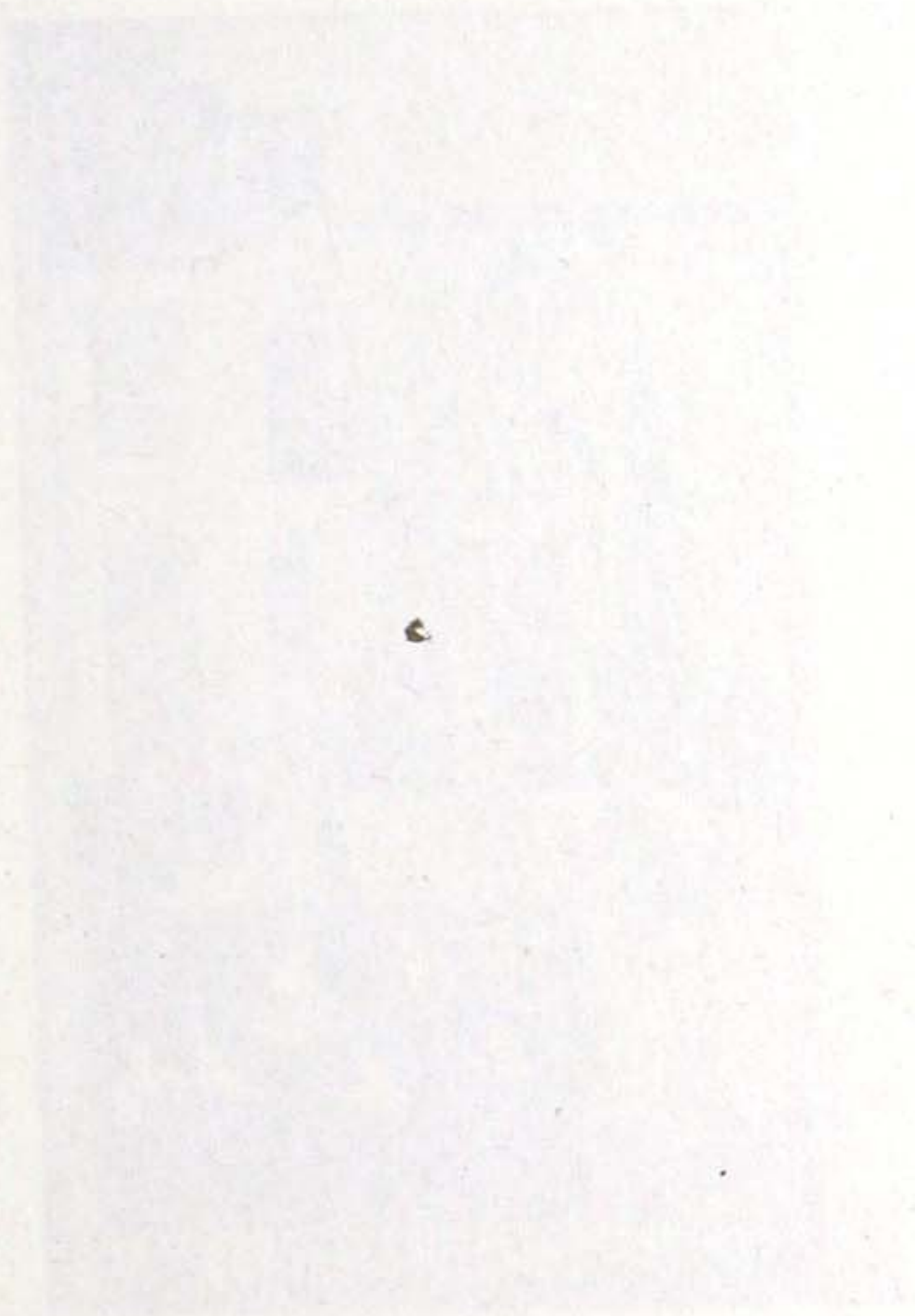


( شكل ٤٣ )  
مدرسة في الهواء الطلق

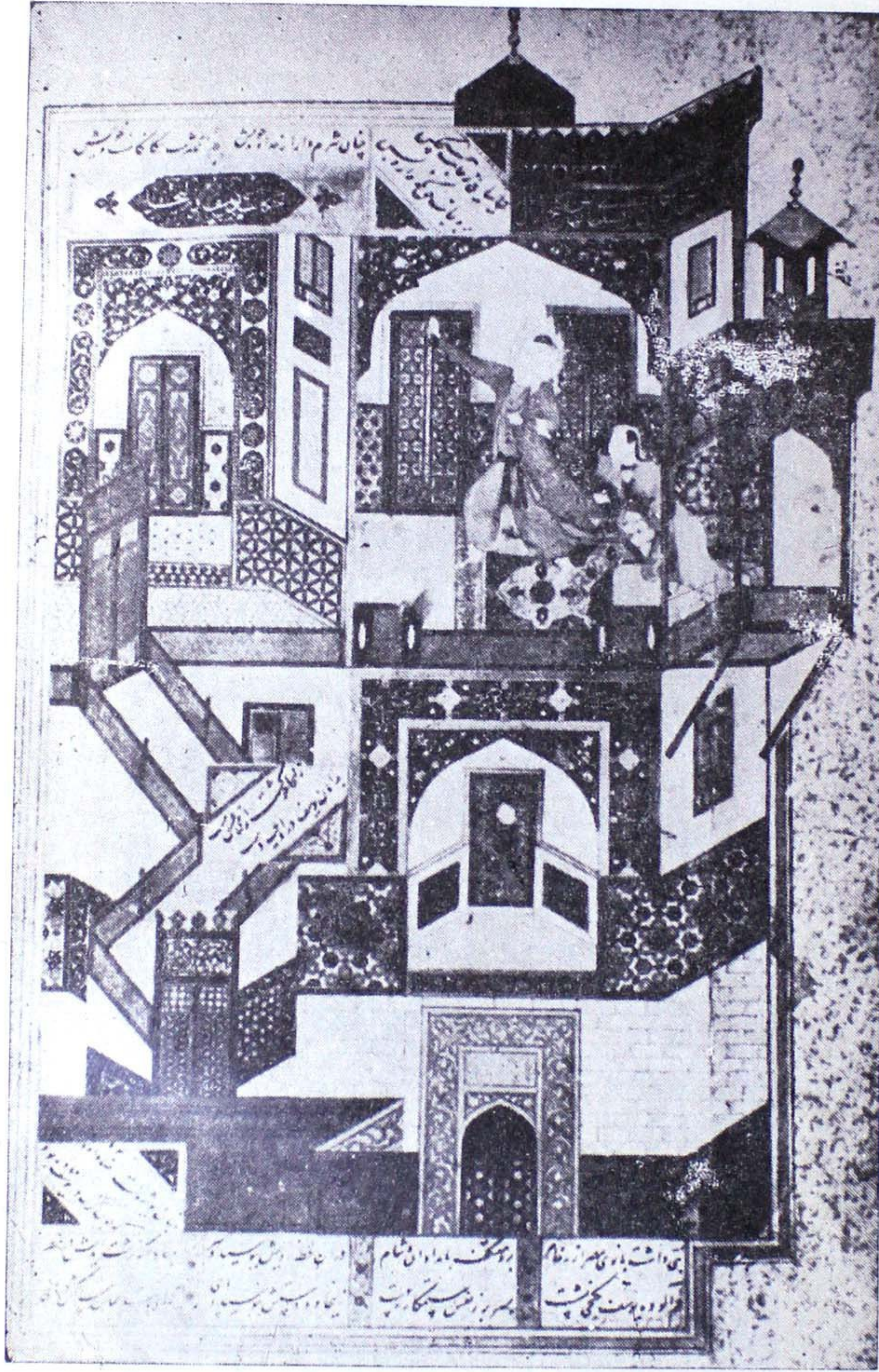
( شكل ٤٢ )  
الحمام في الحمام ، ترمقهين عين فضولى من نافذة في البناء

للمصور الفارسي قاسم علي في مخطوط مؤرخ سنة ١٨٩٩ هـ ( ١٤٩٣ م )  
ومحفوظ الآن بالمتحف البريطاني







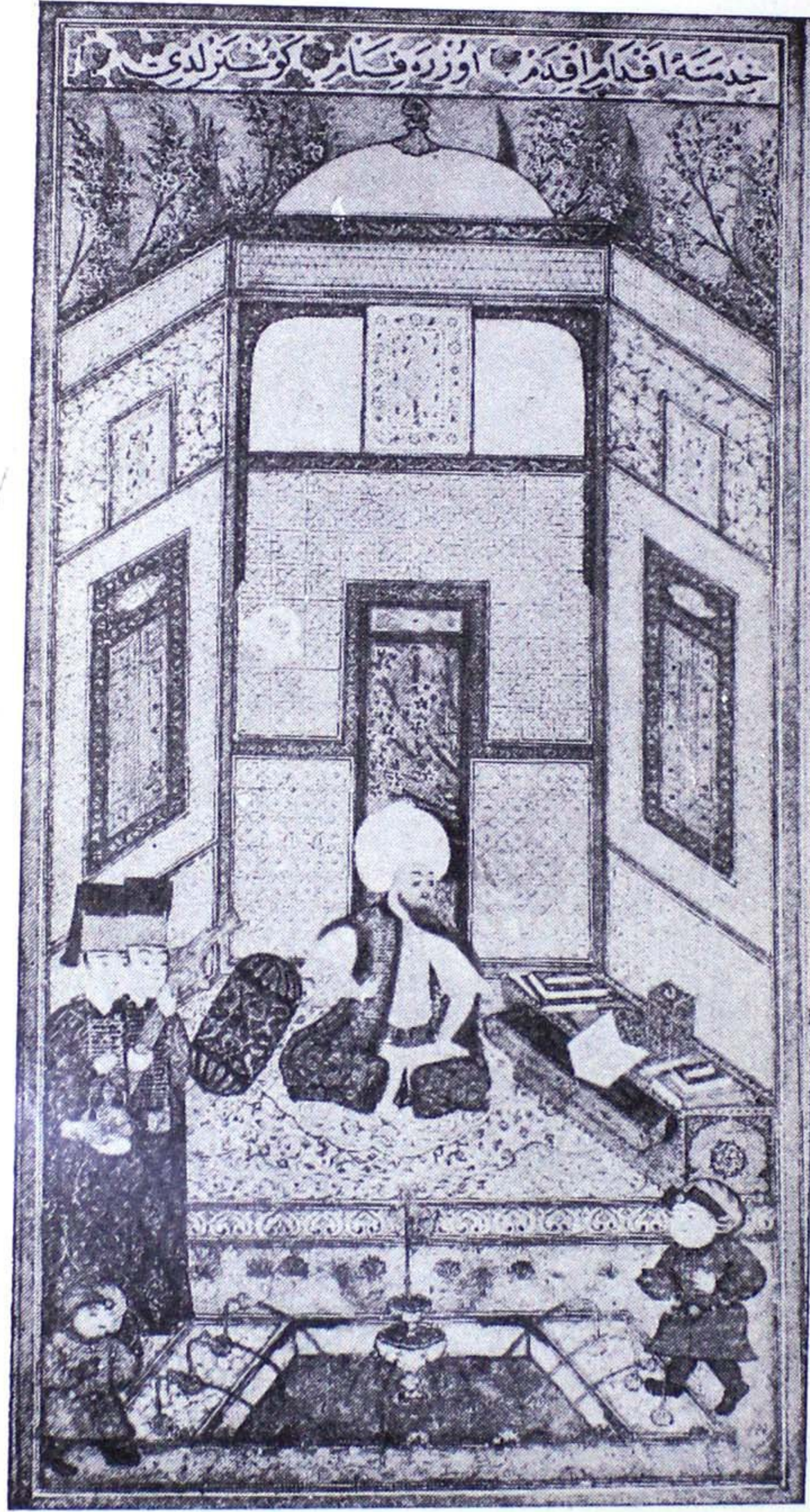


( شكل ٤١ ) صورة يوسف الصديق يفر من زليخا وعي من رسم المصور بهزاد في مخطوط « بستان سعدي » المحفوظ بدار الكتب المصرية والمكتوب سنة ٨٩٣ هجرية وتشير الصورة الى آخر محاولة لزليخا في التغلب على مقاومة يوسف الصديق وذلك بتشييد قصر يوصل الى داخله بعد المرور في سبعة أبواب متوالية . وزينت زليخا القاعة الداخلية بصور تمثلها بين ذراعي يوسف؛ ثم أغرته بدخول هذه القاعة مؤملة أنه حين يرى الصور لا يسهه الا أن ينظر الى صاحبها فيقع في حبالها . ولكن يوسف عند ما رأى الفخ الذي نصبته له صلى الى الله فافتحت الأبواب السبعة وتمكن من الهرب . ويرى يوسف في الصورة له وجه مغطى وهالة من النور على النحو الذي كان يتبعه الفرس في رسم الأنبياء . وقد أبدع المصور في رسم العمارة والأبواب السبعة .



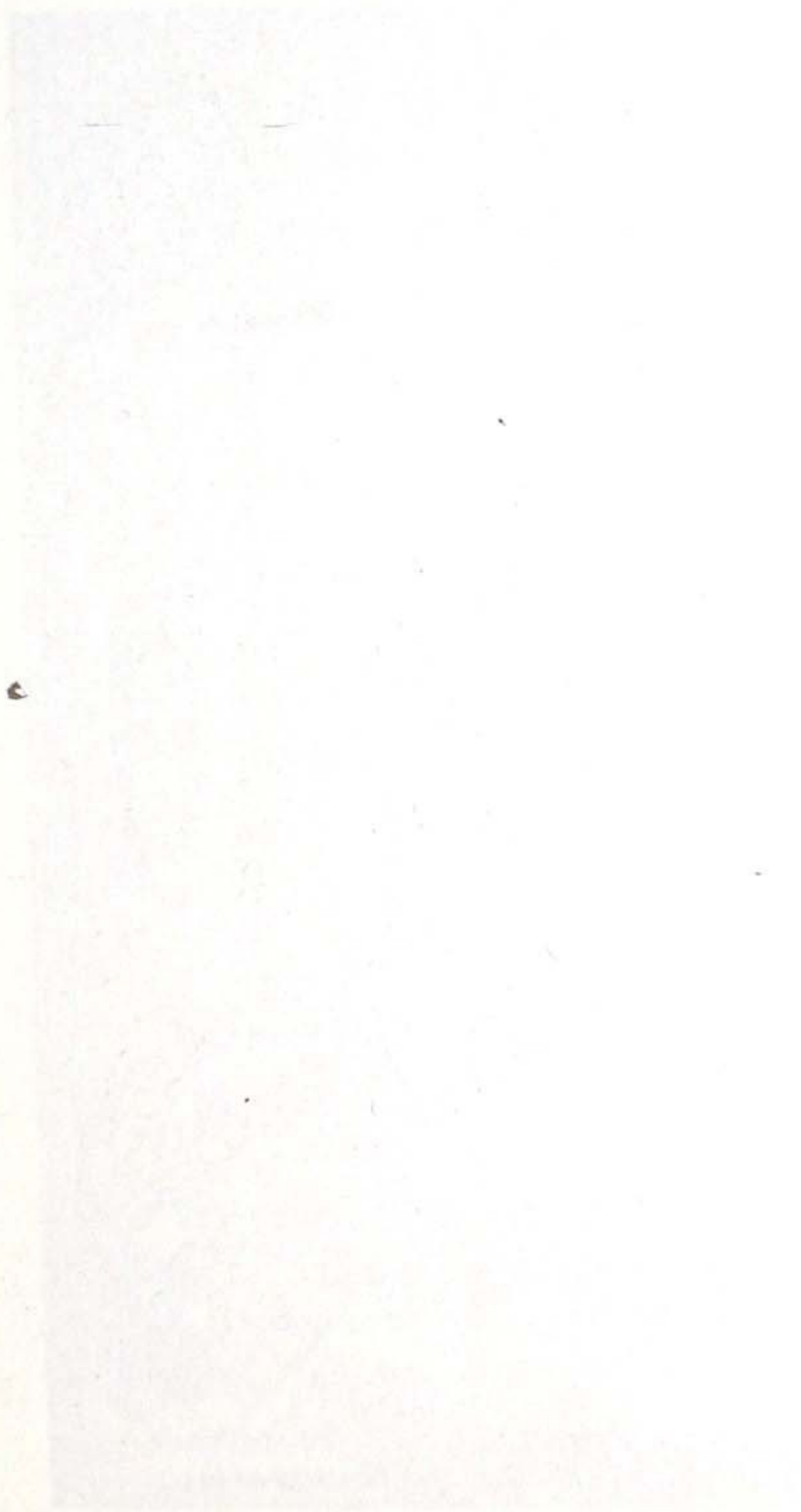






( شکل ۴۰ ) صورة السلطان مراد الثالث في قاعة من قاعات قصره ومعه  
 قزمان واثنان من الانكشارية . وذلك في مخطوط يرجع إلى سنة ۱۰۸۲ م .  
 وقد قلد راسم هذه الصورة الاساليب الفنية في التصوير الفارسي ابان القرن  
 الخامس عشر





*[Faint, illegible text or markings, possibly bleed-through from the reverse side of the page.]*





( شكل ٤٦ ) صور غزلان ويرجع انها من رسم « مراد » الهندي  
الذي كان ذائع الصيت في منتصف القرن السابع عشر وعرف في بلاط  
القيصر جهانجير بمهارته في رسم الحيوان . والصورة محفوظة  
بالقسم الاسلامي من متاحف برلين . وتشبهها  
صورتان عرضتا في معرض اتحاد أساتذة  
الرسم سنة ١٩٣٨









( شكل ٤٧ ) صورة غادة هندية من منتصف القرن السابع عشر . وهي محفوظة الآن بالقسم  
الاسلامي من متاحف برلين ( كليشيه متحف برلين )









(شكل ٤٨) صورة هندية من نهاية القرن السابع عشر تمثل أتباعا يوقظون أميرا . وهي محفوظة  
في القسم الاسلامي من متحف برلين ( كالميشيه متحف برلين )









( شكل ٤٩ ) منظر طبيعي في صورة هندية من نهاية القرن السابع عشر ومحفوطة بالقسم  
الاسلامي من متاحف برلين  
( كاشيه متحف برلين )









( شكل ٥٠ ) صورة هندية من نهاية القرن السابع عشر تمثل ليلي تزور المجنون . وقد عني الفنانون الهنود بتصوير الحوادث في قصة مجنون ليلي التي نظمها بالفارسية الشاعر نظامي وعني بتصوير حوادثها المصورون من الفرس . ونلاحظ في هذه الصورة أن المنظر الطبيعي لا يمثل الصحراء التي تروى القصة أن المجنون اعتزل فيها بعد فشله في غرام ليلي . والصورة محفوظة في القسم الاسلامي من متاحف برلين ( كايشييه متحف برلين )









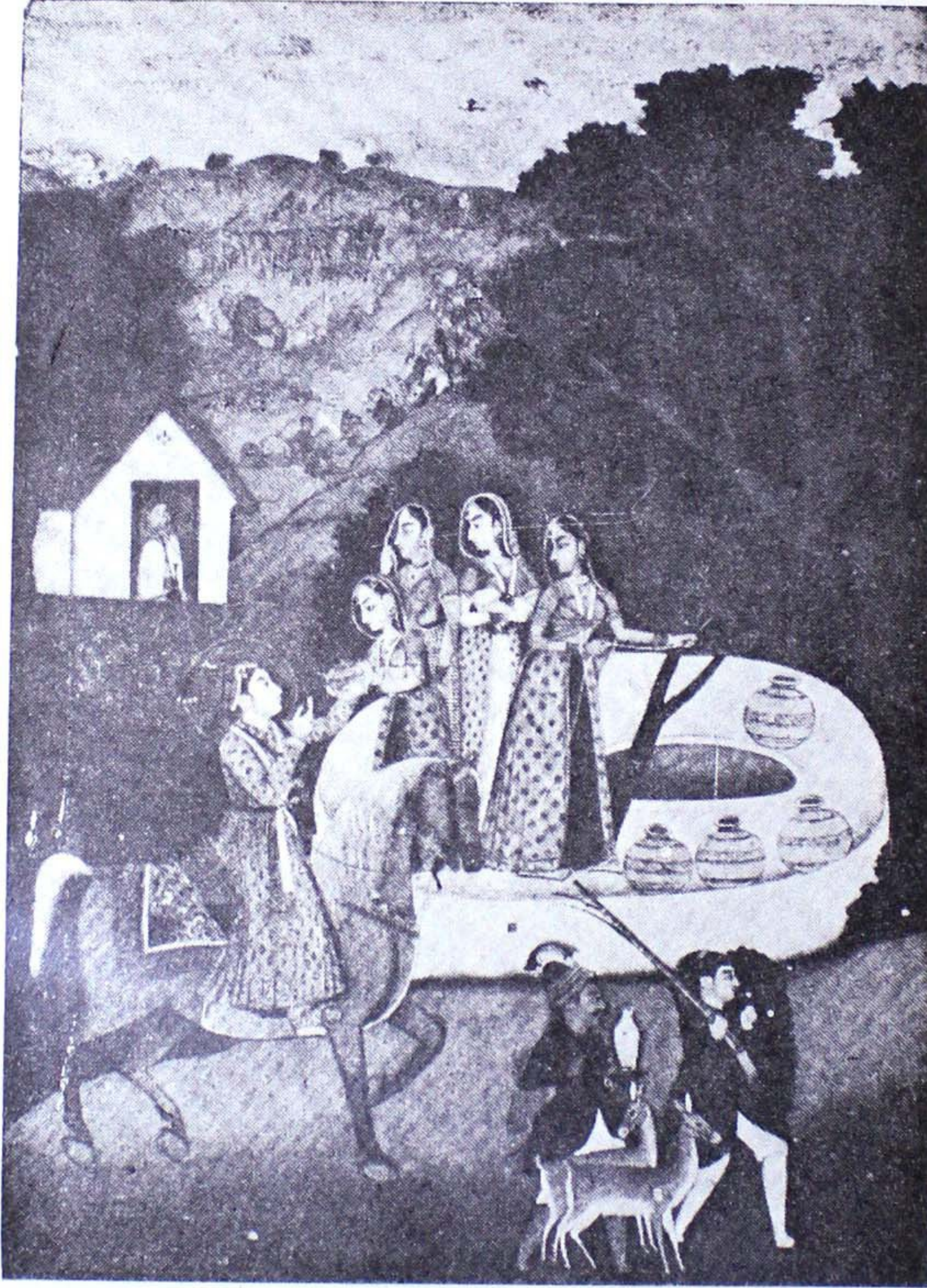
( شكل ٥١ ) صورة هندية من بداية القرن الثامن عشر تمثل نمرا  
يفترس حيوانا والى جانبهما حيوان ثالث يفر مذعوراً . وعلى الرغم  
من أن هذا الموضوع الزخرفي قديم في الفنون الشرقية فان الفنان  
الهندي امتاز في استخدامه هنا ووفق في التعبير عن الذعر  
الذي حل بالحيوانين الهارب والمهجوم عليه . وهي محفوظة  
بالقسم الاسلامي من متاحف برلين

( كاشيه متحف برلين )



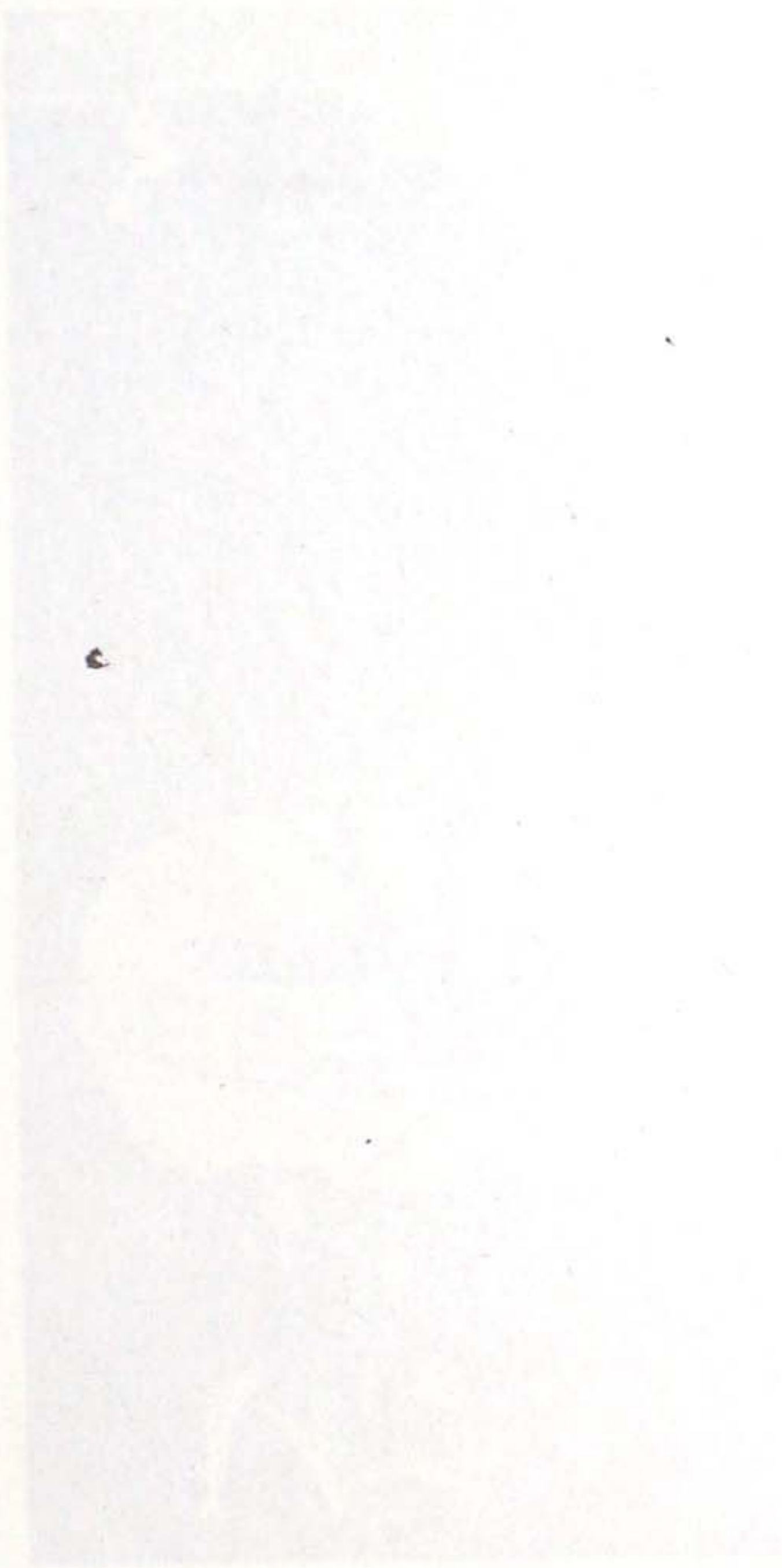






( شكل ٥٢ ) صورة هندية من بداية القرن الثامن عشر تمثل أميرا في طريقه إلى الصيد ومعه تابغان وغزالان أليفان ويقف الأمير بجوار بئر عليها فتيات يأخذن الماء وتتقدم إحداهن لتسقيه. والصورة محفوظة في القسم الاسلامي من متاحف برلين ( كالميشيه متحف برلين )









( شكل ٥٣ ) صورة هندية من القرن الثامن عشر وهي محفوظة الآن بدار الآثار العربية







## كتب أخرى للمؤلف

- ١ - Les Tulunides, Etudes de L'Egypte Musulmane à la fin du IXe siècle ( Geuthner, Paris 1933 )
- ٢ - Hunting as practiced in Arab Countries of the Middle Ages ( Ministry of Education, Cairo 1937 )
- ٣ - الفن الاسلامى فى مصر ( مطبوعات دار الآثار العربية سنة ١٩٣٥ ).
- ٤ - التصوير فى الاسلام عند الفرس ( لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦ ).
- ٥ - كنوز الفاطميين ( مطبوعات دار الآثار العربية سنة ١٩٣٧ ).
- ٦ - بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية ( فى المجلد الثالث - ١٩٣٧ - من مجلة جمعية محبى الفن القبطى ) .
- \* \* \*
- ٧ - فى مصر الإسلامية ، أخرجہ الدکتور زكى حسن والیوزباشى عبد الرحمن زكى ( هدية المقتطف سنة ١٩٣٧ ).
- \* \* \*
- ٨ - تراث الاسلام (مطبوعات لجنة الجامعيين لنشر العلم سنة ١٩٣٦ - الجزء الثانى فى الفنون الفرعية والتصوير والعمارة كتبه بالانجليزية & Christie, Arnold & Briggs وترجمه وشرحه وعلق عليه الدکتور زكى حسن .
- ٩ - علم الآثار ، تأليف جاردنر ، نقله إلى العربية الاستاذ محمود حمزه والدکتور زكى حسن ( لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦ ) .



1 - ...

2 - ...

3 - ...

4 - ...

5 - ...

6 - ...

7 - ...

8 - ...

( ... )

9 - ...

( ... )

( ... )

10 - ...

( ... )



# الفهرس

صفحة	
٣	تصدير ، للأستاذ أحمد شفيق زاهر بك . . . . .
٥	كلمه المؤلف . . . . .
٧	الحضارة الاسلاميه . . . . .
٨	الفن الاسلامي . . . . .
٩	الطرز أو الأساليب أو المدارس المختلفة في الفنون الاسلاميه . . . . .
١٠	الطراز الأموي . . . . .
١٣	الطراز العباسي . . . . .
١٥	الطراز الاسباني المغربي . . . . .
١٧	الطراز المصري السوري . . . . .
٢٠	الطراز الفارسي . . . . .
٢١	الطراز التركي . . . . .
٢٣	الطراز الهندي . . . . .
٢٥	عناصر الزخرفة الاسلاميه . . . . .
٢٥	الصور الآدميه والحيوانيه . . . . .
٢٩	الرسوم الهندسيه . . . . .
٣٥	الزخارف النباتيه . . . . .
٣٩	الزخارف الخطيه . . . . .
٤٤	بعض خواص الفنون الاسلاميه . . . . .
٤٤	كراهيه الفراغ . . . . .
٤٤	الزخارف المسطحه . . . . .
٤٤	البعد عن الطبيعه . . . . .



صفحة	
٤٥	التكرار . . . . .
٤٥	الرسم التوضيحي والصور الصغيرة . . . . .
٤٧	بعض مميزات العمائر الاسلامية . . . . .
٤٧	الماآذن . . . . .
٤٨	القباب . . . . .
٤٨	المقرنصات . . . . .
٤٩	العقود أو الأقواس . . . . .
٤٩	الأبواب . . . . .
٥٠	أثر الفنون الاسلامية في فنون الغرب . . . . .



## فهرس الأشكال

صفحة	
١٧	شكل ١ - منظر في قصر الحمراء بغرناطة
١٩	٢ - مشكاة من الزجاج المموه بالمينا
٢٠	٣ - مسجد قبة بايران
٢١	٤ - مدخل مسجد شاة باصفهان
٢٣	٥ - جامع السلطان احمد الأول في استانبول
٢٤	٦ - صورة مسجد الجمعة في دلهي بالهند
٢٩	٧ - غطاء ابريق من الفخار من صناعة ايران
٢٩	٨ - كأس من الخزف من صناعة مدينة الري بايران
	٩ - صورة حمال على قطعة من صحن خزفي يرجع الى العصر الفاطمي
٣٠	
٣١	١٠ - إناء من النحاس من صناعة مصر في عصر المماليك
٣٢	١١ - مصراع باب من الصناعة المصرية في القرن الخامس عشر
٣٣	١٢ - كرسي من نحاس مخزم من صناعة مصر في القرن الرابع عشر
٣٤	١٣ - زخرفة إسلامية لليوناردو دافينشي
٣٤	١٤ - زخرفة هندسية إسلامية
	١٥ - حشوة من الخشب المحفور من صناعة مصر في القرن العاشر
٣٦	أو الحادى عشر
٣٧	١٦ - حوض من الرخام من صناعة سورية سنة ١٢٧٧
	١٧ و ١٨ - لوحان من القاشاني من صناعة آسيا الصغرى في القرن
٣٨	السادس عشر
٤٠	١٩ - صورة تمثل تطور الخط الكوفي والعناصر الزخرفية فيه



صحيفة

- شكل ٢٠ - مثال من الزخارف الخطية على قطعة من نسيج إيرانية ترجع إلى القرن الثاني عشر ٤١
- » ٢١ - صورة صحيفة من مصحف بالخط الكوفي من صناعة مصر أو العراق في القرن الثاني عشر الميلادي ٤٢
- » ٢٢ - سقف من الخشب المحفور في صناعة صقلية في القرن الحادي عشر ٤٣
- » ٢٣ - مأذنة الكتبية في مراكش من القرن الثاني عشر الميلادي ٤٧
- » ٢٤ - جلد كتاب فارسي من القرن السابع عشر ٥٠
- » ٢٥ - « من صناعة البندقية في سنة ١٥٤٦ ٥٠
- » ٢٦ - غطاء إناء من النحاس صنع بمدينة البندقية في بداية القرن السادس عشر ٥١
- » ٢٧ - نسيج من الحرير المصنوع في آسيا الصغرى في القرن السادس عشر ٥١
- » ٢٨ - نسيج من الحرير المصنوع في إيطاليا في القرن السادس عشر ٥١
- » ٢٩ - قاعة السفراء بالقصر في إشبيلية ٥٣
- » ٣٠ - فسقية من الفسيفساء المركب من قطع رخامية متعددة الألوان ٥٥
- » ٣١ - قطعة من خشبة خشبية ترجع إلى العصر الفاطمي ٥٧
- » ٣٢ - لوح من الخشب من عهد الفاطميين في نهاية القرن العاشر الميلادي ٥٩
- » ٣٣ - بقعة من النسيج المطرز المصنوع بإيران في القرن السابع عشر الميلادي ٦١
- » ٣٤ - إناء من الخزف من صناعة آسيا الصغرى في القرن السابع عشر الميلادي ٦٣
- » ٣٥ - صحنان من خزف صنعا في آسيا الصغرى في القرن السادس عشر الميلادي





- شكل ٣٦ - تربيعة من القاشاني المصنوع بايران في القرن الثالث عشر  
صحيحة  
٦٧ الميلادي
- » ٣٧ - صحن خزفي مصنوع بأسبانيا في القرن الرابع عشر أو  
٦٩ الخامس عشر الميلادي
- » ٣٨ - خمار من الديباج الفارسي المصنوع في القرن السادس عشر  
٧١
- » ٣٩ - صورة أمير جالس القرفصاء على عرشه ومؤرخ من سنة ٥٧٣٤  
٧٣ ( ١٣٣٤ م )
- » ٤٠ - صورة خسرو يقتل بهرام وهي من منتجات المدرسة الفارسية  
التيرية  
٧٥
- » ٤١ - صورة يوسف الصديق يفر من زليخان من رسم المصور بهزار  
٧٧
- » ٤٢ - نساء في الحمام للمصور الفارسي قاسم علي  
٧٩
- » ٤٣ - مدرسة في الهواء الطلق للمصور الفارسي قاسم علي  
٧٩
- » ٤٤ - صورة مجلس طرب وشراب  
٨١
- » ٤٥ - صورة السلطان مراد الثالث وذلك في مخطوط يرجع إلى  
سنة ١٥٨٢ م  
٨٣
- » ٤٦ - صورة غزلان ويرجح أنها من رسم « مراد » الهندي  
٨٥
- » ٤٧ - صورة غادة هندية من منتصف القرن السابع عشر  
٨٧
- » ٤٨ - صورة هندية من نهاية القرن السابع عشر تمثل أتباعا  
يوقظون أميرا  
٨٩
- » ٤٩ - منظر طبيعي في صورة هندية من نهاية القرن السابع عشر  
٩١
- » ٥٠ - صورة هندية من نهاية القرن السابع عشر تمثل ليلي تزور  
المجنون  
٩٣
- » ٥١ - صورة هندية من بداية القرن الثامن عشر تمثل نمرا يفترس  
حيوانا  
٩٥
- » ٥٢ - صورة هندية من بداية القرن الثامن عشر تمثل أميرا في  
طريقه إلى الصيد  
٩٧
- » ٥٣ - صورة هندية من القرن الثامن عشر  
٩٩

